الفصل السابع

# التجارة في العالم القديم

يستعرض هذا الفصل عدداً كبيراً من المؤسسات التجارية؛ نشاطها وتعدد شركاتها التي ابتدعتها في بلاد الرافدين منذ بداية الألف الثاني ق.م أهم عقلية تجارية يمكن توصيفها بالعالمية منذ ذلك التاريخ، تميز بها الآشوريون كما أن هذا الفصل ينتقل بعد ذلك إلى الشاطئ الشرقي للمتوسط الذي مثلته في القرن الرابع عشر قبل الميلاد مملكة (أوغاريت) التي وحدها حفظت تلاً كاملاً حمل بدايتها منذ الألف السابع بالنسبة لإشغال موقعها حتى زوالها في القرن الثاني عشر عام 1185 ق.م.

الشاطئ المتوسطي الكنعاني وقبل حقبة تسميته الفينيقية ونشاط عديد ممالك الساحل التجاري، عرف اعتباراً من (أوغاريت) نقل فن التعدين ونشر صناعة البرونز إلى كافة المناطق البحرية المتوسطية والبرية الأوروبية عن طريق من عرفوا (بحملة الأطواق) الذين يروي هذا الفصل قصتهم الكاملة.

وأخيراً فإن عبقرية تجارية إضافية تميز بها فريق خلق في الصخر مدينته وتاجر بواسطة قوافله مع الإمبراطورية الرومانية ملبياً احتياجاتها من البخور والصموغ والتي كانت تحملها قوافل النبطيين الآتية من الحجاز وتودعها مرفأ غزة لتبحر بعد ذلك نحو (روما).

## 7-1- التجارة وبلاد الرافدين

يتضح من الاستعراض السريع أعلاه، أن بلاد الرافدين، كانت سباقة، ليس فقط في ممارسة المبادلات التجارية، بل عمدت إلى تنظيم مختلف مراحلها، وكل ما تتطلبه تلك المراحل، من خلق أطر بشرية ومؤسساتية، لتسهيل حسن تنفيذ كافة المراحل والاستجابة لما يمكن أن تمثله تعقيداتها، والأخطار التي كان يصطدم بها تحقيق أمانها، في مراحل عبور قوافلها مسافات بعيدة واجتيازها مناطق كانت تستوجب حماية تلك القوافل من أي اعتداء أو سطو، لأن التأمين والضمان كانا من

بين العناصر التي أرادت تجارة ما بين النهرين تحقيقها حفاظاً على سلامة الأرواح والبضائع. وبالإضافة إلى ذلك فإنها ابتدعت تنظيمات متقدمة منذ بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد تضاهي ما هو معمول به اليوم في مجالات التجارة المحلية والدولية على الرغم من الصعوبات القديمة المرتبطة بالمواصلات وبالاتصالات، وسوف نقدم فيما يلي تفاصيل ما عرفته بلاد الرافدين في مختلف معالم التجارة وتطبيقاتها وذلك وفق الفقرات التالية؛ مع لفت نظر القارئ الكريم أن تقديم التفاصيل المشار إليها، ولمصلحة متابعتها، سوف ينتج عنه بعض التكرار الطبيعي لما ورد آنفاً.

### 7-1 (أ) القصر والمعبد ودورهما كمؤسسات تجارية:

كان نشاط التجارة الدولية أو المحلية، يدار ويراقب في بلاد الرافدين من قبل مؤسستين هما إما القصر أو المعبد. وعلى هذا الأساس كانت تلك المؤسّسة تبيع من إنتاجها، ما يزيد عن احتياجاتها وتحصل رسوماً عن المبيعات الأخرى التي تشرف عليها.

خلال النصف الأول من القرن الثالث، في جنوب بلاد الرافدين، أي في منطقة (سومر)، كان القصر والمعبد يديران كلاهما التجارة التي تعتمد على نتاج ممتلكات كل منهما، وكان أساس الاقتصاد آنذاك يشمل الزراعة والصيد البحري وتربية الحيوان، وخلال تلك الفترة وضعت مدينة "لغش" (Lagash) تجارتها تحت تصرف الملك الذي عين بدوره (رئيس التجّار) وهو موظف الدولة المختص بالتجارة مع مختلف الممالك ويمتاز عن التجار العاديين الذين يعلمون أيضاً مع القصر.

خلال حكم (أكاد)، فإن المؤسسة الملكية كانت هي أيضاً تشرف على العمليات التجارية، وكذلك كان الأمر بالنسبة للمعبد، حيث كان تداول الإنتاج الأساسي بالنسبة لاقتصاد البلد يتم عن طريقهما.

أما بالنسبة لفترة حكم (أور) III (أي حوالي 2000 ق.م) فإن النصوص الإدارية في "جيرسو" (Girsu)[1] و"أومّا" (Umma) و"أور" (Ur)[2]، تشير إلى أن التجارة كانت تتم كذلك تحت مراقبة القصر والمعبد، وكان التجار يراقبون بدقة

---

[1]- جيرسو (Girsu): قريبة من (لغش) وتابعة لها.

[2]- أور (Ur): مدينة الإله القمر (سين) تقع في الجنوب على الفرات.

من قبل المؤسستين، كما يظهر ذلك من ضمن مما سمي (بكتب المحاسبة) التي عثر عليها حيث كانت جميع مداخيل ومصاريف التجار مسجلة فيها. كما كان الملوك آنذاك يصدرون تعليمات تنبه إلى معاقبة من يتلاعبون بالأوزان بالنسبة للتجارة المحلية وتأمين حاجات المواطنين وقد وصلتنا النصوص حول تلك التعليمات.

فيما يتعلق بما يفيض عن احتياجات القصر والمعبد كان التجار مكلفين بتحويل تلك الفوائض إلى مواد كمالية ويتلقون عمولة لقاء تنفيذ تلك العمليات.

لم يكن مثل هذا العمل الرسمي يحول دون القيام بعمليات تجارية شخصية بالإضافة إلى مهامهم المرتبطة بالقصر أو بالمعبد، كما كان بعض الحرفيين المستقلين يتلقون استحقاقاتهم من قبل القصر عندما كانوا يكلفون بالعمل بناء على طلبه.

تأثر الاقتصاد العام في البلاد لدى انهيار إمبراطورية (أور) III، أدى ذلك إلى استقلالية تمتع بها التجار مما دعاهم إلى السفر أبعد وأبعد في سبيل تجارتهم وساعد ذلك على انتماء التجار إلى مؤسسة تجارية مستقلة حملت تسمية (الكارو) كما حدث ذلك في مدينة "كانيش" (Kanish) من قبل التجار الآشوريين القدماء كما عرفت ذلك الحقبة البابلية القديمة (1894-1595) ق.م إذ كانت العلاقة بين (كارو) التجار والدولة، يديرها (رئيس التجار) وهو الذي كان ينظم بيع منتجات القصر الملكي وهو تابع له.

كما كانت بعض ممتلكات الأراضي الزراعية الملكية، تسلم إلى متعهدين- يقدمون لقاء ذلك كميات سنوية من الحبوب تسلم للقصر. كما كان القصر إذا ما أراد ذلك يعد وثيقة يسلمها إلى التاجر يعطيه بموجبها الحق بالتصرف بالموسم مقابل مقدار من الفضة، وبهذه الطريقة الموازية، كان القصر يتخلّص مما كان يزيد عن احتياجاته من الحبوب أو من الصوف، كما كان يتلقى رسوماً يسددها له التاجر.

كان (رئيس التجار) الذي يعمل في الـ "كارو" (Karu)[1] يتلقى البضائع والسلع، ويوزعها على التجار، ثم يحصِّل الأموال الناتجة عن بيع السلع، وأحياناً

[1]- كارو (Karu): بمعنى رصيف التجار المشغول من قبل ما يقابل (جمعية التجار).

كان بعض التجار الذين كانوا يعتبرون (تجار القصر) أي "تامكاري إيكالي" (Tamkrari - Ekalli) وهم يعملون بشكل مستقل لمصلحة الملك، وبالطبع كان المعبد أو القصر يلجأ إلى تجار (الكارو) من أجل عمليات الشراء أو البيع.

أما في مملكة (ماري)، فبالإضافة إلى العمليات التجارية التي كانت تعقد بين القصر وجمعية التجار (الكارو)، فإن تجارة القصر كان يديرها موظفون كبار مهمتهم تزويد القصر بالمعادن وبمواد كمالية بواسطة قروض ومشتريات من التجار، ويمكن القول أن الدبلوماسية والتجارة في (ماري) كانتا متداخلتين وكان القصر يحصل على المواد النادرة بواسطة الهدايا الدبلوماسية.

وبقصد المقارنة أيضاً، نذكر مملكة "أوغاريت" (Ugarit) حيث كان الـ "تامكاروتو" (Tamkarutu)[1] يشكل إدارة ناتجة عن تسمية ملكية، تشمل تخصيص مقر له، كما كان التجار مكلفين بتحصيل الرسوم من القرويين والرعاة ومسك حسابات تقدم للقصر ونتعرف هنا على ما سمي (بكتاب المحاسبة) المفروض على التجار في بلاد الرافدين.

في "نوزي" (Nuzi)[2] كان القصر يمول التجارة الدولية وكان التجار المعينين من قبل القصر يعملون تحت إشراف مسؤولي القصر وذلك لتصدير الأحصنة والأقمشة واستيراد العطور والأصبغة، كما كان الملك مسؤولاً مباشرة عن تطبيق الاتفاقيات التجارية.

أشارت محفوظات الإمبراطورية الآشورية - الجديدة (1075-724) ق.م أن الحرب كانت تغني عن التجارة، على اعتبار أن الحملات العسكرية المنصّرة كانت تتيح للملك الآشوري الحصول، بالإضافة على الجزية المفروضة سنوياً على هدايا متعددة من معادن ثمينة وتحف نادرة وحلي، كما كان البعض أيضاً بعد كل انتصار يكمل تجميع الغنائم. ولمعرفة تفاصيل ما كان يتلقاه الملك الآشوري، عندما كان سنوياً يجتاز طريق الساحل المتوسطي مروراً بجميع الممالك الساحلية

---

[1]- تامكاروتو (Tamkarutu): يقابل (رئيس التجار) في (كانيش).

[2]- نوزي (Nuzi): تقع على بعد نحو 10كم إلى الجنوب الغربي من كركوك دامت حتى القرن الرابع عشر ق.م. وكانت تابعة لمملكة (آرافا) التي أقيمت فوقها كركوك الحالية.

الصغيرة، فإن المحفوظات الآشورية غنية جداً بمثل تلك المعلومات وهي تصف بتفصيل وبفخر الغنائم من ذهب وفضة وحديد وألبسة مزركشة متعددة الألوان وعاج وآنية ذهبية وأقمشة أرجوانية وقد عرض العديد من نصوصها كتاب (فلسطين)[1] الصادر عن دار الساقي لعام 2006.

كان تجار الحقبة البابلية الجديدة (626-538) ق.م، يعملون بشكل مستقل وفي الوقت نفسه كانوا يلبون تجارياً طلبات القصر، وبالنسبة للمعبد كان (التامكاريون) أي التجار يدفعون له نوعاً من الضريبة السنوية تشبه الزكاة.

كما كان بين التجار عدد ممن يحملون لقب "تامكار - شاري" (Tamkar-Shari)[2] وهم تجار الملك، يعملون هم أيضاً بإمرة رئيس التجار الملكي المكلف بتأمين تموين القصر وتصريف ما يزيد عن احتياجاته.

### 7-1 (ب) التجارة الآشورية الأناضولية ورقة وتشعب تنظيماتها:

أشرنا آنفاً إلى موقع (كانيش) الأناضولي حيث أسس الآشوريون القدماء مركزهم التجاري الذي كان يقوم بعدد كبير من المعاملات التجارية ويستجيب لجميع متطلبات تلك المعاملات وقد ترك لنا عدداً كبيراً من المحفوظات التي تطلعنا على مختلف نشاطاته وهذا ما نقدم عنه الفقرات التالية.

### 7-1 (ب-1) موقع (كانيش) ومراحل تأسيس مركزها التجاري:

(كانيش) هي المدينة التي تقع في الأناضول الشرقي، على نحو 20 كم إلى الشمال الشرقي من مدينة "قيصرية" (Cesarée) الرومانية ويقابلها الموقع الحديث الذي أطلقت عليه تسمية "كولتيبي" (Koltépé) ومعناها (تل الرماد) حيث عثر على بقايا مركز (كانيش) القديم.

تتألف المدينة من قسمين أو حيين مستقلين، تشغل الحي المرتفع مساكن السكان الأصليين وهو يشرف على السهل الذي يشغله الحي التجاري المسمى "كاروم" (Karum) في النصوص الآشورية.

---

[1]- فلسطين: التاريخ القديم الحقيقي الصادر عن دار الساقي في بيروت عام 2006 لقاسم الشواف.

[2]- تامكار - شاري (Tamkar - Shari): تامكار بمعنى (تاجر) و (شاري) معناه الملك وقد ورث الساحل السوري تسمية (مكاري) المستعملة للتاجر المتنقل الذي يزور القرى.

لـدى القيـام بتنقيبـات أثريـة في (كـانيش)، ثـم تحديـد خمسـة مسـتويات تراكمية في الحـي التجـاري الـذي يعلـو مقـدار مترين إلى مترين ونصـف عـن السـهل الذي يشرف عليه وهو يمتد على جبهة تعادل 3 كم.

يعود المستوى II إلى (1920-1840)، وهو يمثل تواجد أكبر عدد من التجار الآشوريين الـذين أسسـوا العديـد مـن المراكـز التجارية التابعـة لكـارو (كـانيش) في منطقـة (الكـابـادوس) الأناضـولية وذلـك بتشـجيع مـن قبـل ملـك آشـور آنـذاك وهـو (إيريشو) (1940-1901) ق.م.

كـان مركـز (كـانيش) يشـرف علـى المراكـز الثانويـة، وقـد قـدم لنـا عـدداً كبيراً من الوثائق التجارية وهو الذي زال بسبب حريق مما سوغ تسمية موقعه (بتل الرماد) كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

زال الحي المرتفع من (كـانيش) بسـبب حريق وبقـي المركـز التجـاري مهجـوراً مـدة ثلاثـة قـرون، قبـل أن يعـاد تأسيسـه ليصـبح مـن جديـد مركـزاً تجاريـاً كـبير الأهمية وذلك اعتباراً من عام 1810 ق.م.

تلت ذلـك فـترة مضـطربة في آشـور بعـد وفـاة الملـك (ايشـمي - داغـان) (1776-1742) ق.م هجـر حيالهـا التجـار الآشـوريون المركـز التجـاري، ممـا أدى إلى تضـاؤل النشاط التجاري وزواله بسرعة حتى أن المركز الذي كـان يعـج بالحركـة والنشـاط خلال ما يقارب القـرنين مـع بعـض فـترات انقطـاع، ذلـك المركـز كـان لـه الفضـل في خلـق حركـة تجاريـة يمكـن القـول عنهـا بأنهـا كـانـت دوليـة ولا نغـالي حـين نصـفها بالأنترناسـيونية (الأمميـة) لأنهـا شملـت الأمـم الـتي كـانـت تتمتـع بمسـتوى حضـاري وتتعامل تجارياً مع ما وراء حدودها.

**7-1 (ب-2) المعاملات التجارية التي كان ينجزها مركز (كانيش)**

يسـتنتج مـن الوثـائق الـتي تم كشـفها في (كـانيش) والمثبتـة علـى لوحـات فخاريـة، سـاعد الحريـق الـذي أنهـى وجـود المركـز علـى تحسـين صـلابتها وبقيـت يحميهـا الرمـاد الـذي نـتج عـن الحريـق وسـوف نشـير فيمـا بعـد إلى عـدد الوثـائق المكتشفة، محتواها فهو كما يلي:

• مراسلات وعقود صادرة عن شركات قرض وعمولات وكذلك عقود زواج وطلاق.

• أوامر دفع وشراء وبيع.

• لوحات محاسبة وسحب أموال مودعة.

• وثائق مصادرة بسبب ديون مستحقة.

• لوائح بضائع مودعة.

وما يسمى بضائع بالنسبة للآشوريين، هي بصورة عامة ورئيسية الأقمشة (صوف - كتان) والألبسة والرصاص والقصدير الذي كانوا يحصلون عليه من شمال أو من شرق (آشور) وبالطبع كانت المبادلات تتم مقابل أوزان ذهب وفضة.

يتضح من المعاملات أعلاه أن (كانيش) كانت تعمل وكأنها مؤسسة مصرفية حديثة تمنح القروض وتودع لديها الأموال لتسحب كلياً أو جزئياً عند الحاجة وكأننا نتعامل مع مصارف حديثة.

1-7 (ب-3) **حول محفوظات المركز التجاري في كارو (كانيش):**

أوضحنا آنفاً أن تعبير (كارو) كان يعني في الأساس، الرصيف حيث كان يجتمع التجار لممارسة نشاطاتهم، ثم عنى بعد ذلك مشاركة التجار المتمركزين في حي واحد. وحين استعمله الآشوريون القدماء في الأناضول الأوسط، يمكن اعتباره بمثابة (حي التجار) وكذلك تجمع الوكالات التجارية في بلد أجنبي.

يمكن تتبع عمل (الكارو) وتنظيمه من ضمن الوثائق التي تعود إلى بداية الألف الثاني وتتألف من مجموعتين تتوزعان على كل من الفترة البابلية القديمة والفترة الآشورية القديمة.

• حسب محفوظات الحقبة البابلية القديمة (1894-1595) ق.م فإن الوثائق التي تتعلق بتجارة (الكارو) تشير إلى أنه كان يعمل برئاسة موظف مسؤول هو "وكيل تامكاري" (Wakil-Tamkari) وهو ذو مرتبة عالية كما كان صلة الوصل بين القصر والتجار، وهو يدير في بعض الأحيان مجموعة من خمسة تجار، وممثليهم.

كما كان (الكارو) البابلي القديم يتولى بيع إنتاج الممتلكات الملكية وممتلكات المعبد في بعض الأحيان وكان في الوقت نفسه يشمل التجار الأجانب الذين يتمركزون إلى جانب التجار المحليين.

يتمتع (الكارو) البابلي بنوع من الاستقلالية وبنظام داخلي خاص به ولم يقدّم لنا وثائق محفوظات كما هو الحال في (الكارو) الآشوري.

• (الكارو) التابع للحقبة الآشورية - القديمة (1974-1735) ق.م ترك لنا في مدينة (كانيش) حيث أقيم، محفوظات أعلمتنا بالتفصيل عن مختلف نشاطاته، كما كان في الوقت نفسه منتشراً في العديد من المناطق الأناضولية وكان يُعِدّ 15 مركزاً رئيسياً يضاف إليها 15 (كارو) ثانوي تعرف تحت تسمية "وابارتو" (Wabartu) وذلك خلال ما عرف بالمرحلة الثانية من تواجد التجار الآشوريين في (كانيش).

كان (كارو) (كانيش) يخضع لنظام إداري خاص به، أعدته جمعية التجار وكان عبارة عن مركز إداري لعدد من الوكالات التجارية المقامة في آسيا الصغرى وهو يمثل بنية سياسة آشورية ذات أهمية مرتبطة مباشرة بسلطة (آشور) وهي تشكل عصب التجارة الآشورية في بلاد الأناضول.

كان (كارو) (كانيش) يضم كبار وصغار التجار المقيمين في (كانيش) والذين كانوا يجتمعون في "بيت - كاري" (Beit - Kari) أي (مقر المجلس الإداري والسياسي) حيث كانت تُتَّخَذُ القرارات ويتمُّ النظر في الدعاوى والخلافات. وكانت تحفظ في ذلك المجلس الوثائق الناتجة عن كافة نشاطات (الكارو).

أما ما سمي (بالعشارتو) أي (مجموعة العشرة)، هم من بين تجار المركز المكلفون كمجلس تنفيذي بالتداول مع السلطات المحلية الأناضولية للحصول على التسهيلات التي كانت تتطلبها أعمالهم.

كانت المراكز الثانوية تدار بواسطة تعليمات تردها من مركز (كانيش) بواسطة لوحات مكتوبة أو تعليمات رسل، ولم يعثر على مثل تلك اللوحات الإدارية في أي من المراكز الثانوية فيما عدا كارو "بورو - شاتوم" (Buru - Shattum) وهو

موقع "آسم - هويوت" (Acem - Hūyūt)[1] الحالي، إذ أن اتفاقية عثر عليها في موقع "شباط - إنليل" (Shbat - Enlil)[2] أشارت إلى ذلك الموقع.

قدم لنا موقع (كانيش) في عام 1925 حوالي 1000 لوحة مسمارية الكتابة وبلغة آشورية قديمة، ثم في عام 1948 ثم كشف 17500 لوحة حفظها لنا رماد حريق (كانيش)، تضاف إليها 3000 لوحة بيعت قبل الحفريات الرسمية في السوق السوداء في إستنبول، وبذلك يبلغ مجموع عدد لوحات محفوظات (كانيش) 21500 لوحة.

### 7-1 (ج) الشركات التجارية:

ما عرف بالشركات التجارية في العالم القديم وبخاصة في بلاد الرافدين، هو عبارة عن دورة مبادلات عرفتها البلاد مبكراً وهي تتعلق في الوقت نفسه بالمواد والمنتجات المحلية وأهمها منتجات الزراعة والتربية الحيوانية وكذلك المواد غير المتوفرة في بلاد الرافدين كالخشب والمعدن الذين كانا متوفرين في البلاد المجاورة الشرقية والغربية.

لقد كان الاتجار بتلك المواد المختلفة آنذاك - سواء أكان ذلك في المجال المحلي أم الدولي، كان بيد مؤسستين، أشرنا إلى دورهما آنفاً هما القصر والمعبد، نضيف إليهما التجار المستقلين - كما أن هناك شواهد عديدة تشير إلى مختلف الطرق العملية التي كان يعمل بها وأنواع الشركات التي يتم تأسيسها من أجل ذلك.

الوثائق المكتوبة، فيما تعلق، بالتجارة الدولية في بداية الألف الثاني ق.م، هي متوفرة بكثرة وبتنوع، وهي صادرة عن تجار أقاموا في مركز (كانيش) الأناضولي وحذا حذوهم تجار (أور). أما فيما يتعلق بمبادلات المواد المحلية، فإن النصوص البابلية القديمة (1894-1595) ق.م التي صدرت عن كل من مدن "سيبار" (Sippar) و "نفر" (Nippur) و "لارسا" (Larsa) تشير إلى تفاصيل ذلك.

---

[1]- آسم - هويوت (Acem - Hūyūt) الأناضولي.

[2]- شباط - إنليل (Shbat - Enlil): وهو موقع مدينة قديمة سورية ذات أهمية تقع في الجزء الشرقي من الخابور الأعلى في وادي الجراح.

خلال الألف الأول ق.م، فإن المعلومات المتوفرة صدرت عن محفوظات المعابد الكبيرة في (بابل) التي كانت تهتم مباشرة بالتجارة الدولية، ويتضح ذلك أيضاً من ضمن محفوظات التجار البابليين أنفسهم فيها يتعلق بالمبادلات المحلية.

**7-1 (ج-1) القصدير وبلاد عيلام**

خلال تلك الفترة، كان على تجار (آشور) المقيمين في بلاد الأناضول الاستحصال على معدن القصدير من بلاد عيلام ومن آسيا الصغرى التي كانت غنية بالمعادن الثمينة كما كان الاستحصال على معدن القصدير من بلاد عيلام يتطلب اجتياز مسافات طويلة بواسطة القوافل التجارية وعلى طرق وعرة وغير آمنة بشكل خاص، كما أن الطرق المؤدية من آشور إلى (كانيش)، لم تكن سالكة خلال فصل الشتاء وكان التاجر وحده عاجزاً عن تغطية كافة المراحل التي كان يتطلبها إيصال السلعة إليه أو إيصال ما يصدره هو نفسه إلى مستورديه، لذا، فإن التاجر وجد نفسه مضطراً لأن يأخذ على عاتقه مجمل العملية التجارية بالاعتماد على عناصر بشرية يؤدي كل منها دوراً جزئياً من أصل المهمة العامة. يعني ذلك، أن الاستحصال على القصدير وتصدير الأقمشة والألبسة، استوجب خلق شبكات تمثيل تجاري في الاتجاهين مع مختلف مدن آسيا الصغرى، وتلك الشبكات أدت إلى تعاقدات في اختصاصات متعددة لها علاقة بالمراحل التجارية وأمانها وتأمين ممولين لها تشملهم الشراكة وكذلك شركات الضمان (التأمين) دون إهمال دور الممثلين التجاريين ورؤساء القوافل ومختلف الموظفين الذين عليهم متابعة تنفيذ مختلف المهام.

بالإضافة إلى المؤسسات العائلية التي كانت تمارس نشاطها التجاري، فإن عدداً من الشركاء كان يتم التعاقد معهم تدريجياً لتأمين ودعم مختلف مراحل المعاملات. كما كانت تلك التعاقدات سواء أكانت ضمن شراكة أم فردية، فإنها كانت تضمن وتعطي لكل شخص حقوقه وتحدد واجباته.

ويمكن القول في هذا المجال أن وثائق تجار (كانيش) بالنسبة للعلاقات التعاقدية البسيطة مثل توظيف شخص أو بالنسبة للشركات الجماعية الأكثر

تشعباً، كانت تلك الوثائق تشير إلى وجود عدة نماذج كما هي كثيرة الوثائق البابلية القديمة والبابلية الجديدة التي لجأت بدورها إلى أنواع أخرى من الشركات التجارية.

### 7-1 (ج-2) الشركات ذات الأمد القصير

تؤسس الشركة ذات الأمد القصير لمدة محدودة تبعاً لتحقيق هدف معين ولتنفيذ عملية واحدة. فالشركة التي تسمى أكادياً "شركة "تافوتو" (Tapputu)" تقضي بتسليف الأموال من قبل ممول لتاجر واحد أو لعدة تجار لكي ينفذ خلال مدة محدودة عملية تجارية ذات هدف محدد، ويكون الممول في هذه الحالة أحد الشركاء. بنهاية العملية، فإن الشركاء ينفذون الحسابات ويسددون الديون ويتوزعون الأرباح وفق حصص متساوية، ومثل هذه العملية التجارية تتعلق غالباً بالتجارة مع أماكن ذات مسافات بعيدة، مع الإشارة إلى أن المحفوظات الآشورية القديمة، لم تحتو قواعد مشاركات من هذا النوع ولكن العديد من النصوص كان يعني ذلك، مع العلم أن الشركة (تافّوتو) ذات الأمد القصير لحظ تشريع حمورابي قواعدها.

أما تجار مدينة "أور" (Ur) الذين كانت لديهم علاقات تجارية مع (دلمون) أي البحرين، بشكل خاص، فقد تركوا عقود شراكة من هذا النوع، تشير إليها عدة رسائل وبهذا الصدد يقول تشريع حمورابي في مادته رقم 99 ما يلي:

(إذا ما سلّم رجل مالاً ضمن شراكة (تافوتو)، فإنهما يقتسمان وفق حصص متساوية أمام الإله الربح والخسارة).

(سيبار) مدينة الإله (شمش)، فقد عرفت هي أيضاً شركة ذات أمد قصير هي:

### 7-1 (ج-3) الشركة إيلّاتو (Illatu)

تجمع هذه الشراكة، بناء على طلب تاجر غني، عدة تجار يوظفون رؤوس أموالهم أو بضائعهم من أجل عملية واحدة، ذهاباً وإياباً حيث أن الأكلاف والأرباح، يتم توزيعها بما يتناسب مع المساهمات الموظفة في الأساس. وفي حال فقدان البضائع أثناء الطريق، فإن الخسارة توزع بشكل عادل بين المساهمين وذلك وفق نسبة ما وظفوه.

**7-1 (ج-4) الشركات الدائمة ذات الأمد الطويل**

هي عبارة عن شركات تجارية حقيقية، قدمت المصادر البابلية القديمة (1894-1595) ق.م تفصيلات حولها، وأهمها الشركة التي أطلقت عليها تسمية "ناروتّو" (Narutu) التي ترتبط بتسمية التعاقد، فالعقد (ناروتّو) يشمل ممولين أو مقرضين مختلفين، يقدمون كميات مهمة من الذهب، توضع جميعها في (كيس-ناروتّو)- يسلم بموجب عقد خاص، في مدينة (آشور) إلى وكيل مفوض، يكلف لمدة عدة سنوات بعقد صفقات تجارية بغية تحقيق أرباح على رؤوس الأموال الموظفة وفي النهاية توزع الأرباح بمعدل (2/3) ثلثين إلى موظفي الأموال ويحتفظ الوكيل المفوض بالثلث الآخر.

**7-1 (ج-5) التوظيف المالي**

درجت عائلات بابلية كبيرة على تأسيس شركات مالية أشارت محفوظات مفصلة إلى تكوينها، فعائلة (إيجيبي)، وهي مجموعة رجال من بابل عاشوا في بداية حكم الإمبراطورية (الفارسية) هؤلاء الرجال وظفوا رؤوس أموال من قبلهم في مؤسسات تجارية تتعدى بلاد بابل كما تتجاوز إطار التجارة بصورة عامة، إذ كشفت المحفوظات الخاصة عن عقود تتعلق بعمليات بيع وشراء مواد من البلاد البابلية وكان ذلك يشجع في الوقت نفسه على تطوير الإنتاج الزراعي، وفي مثل هذه الحالة كان يتم تشجيع منح قروض إلى المستثمرين الزراعيين، تسدد بعد الحصاد أو القطاف وفق شروط التعاقد بين الطرفين.

## 7-1 (د) التجارة الدولية في بلاد الرافدين:

اتضح من دور آشوريي (كانيش) في منطقة الأناضول، وسعيهم للحصول على معدن القصدير من مناطق بعيدة، وتصدير الألبسة والأقمشة إلى تلك المناطق، اتضح أنهم كانوا يمارسون تجارة دولية وهكذا فعلت (أور) في تجارتها مع (دلمون) و (ماجان) و (ملّوحا) وهي (البحرين) و (عمان) وشمال المحيط الهندي وتقدم هذه الفقرة فيما يلي تفاصيل إضافية عن التجارة الدولية موزعة على مختلف الفترات التاريخية التي عاشتها بلاد الرافدين حتى سقوط بابل وبداية تأسيس الإمبراطورية الفارسية.

### 1-7 (د-1) بلاد الرافدين فيما تنتج وما تحتاج

بلاد ما بين النهرين، بلاد الصلصال، تفتقر دوماً إلى المعادن وإلى الخشب وإلى الصخر، فيما عدا منطقتها الآشورية، ولكنها تملك أراضيَ خصبة تلائم زراعة الحبوب، كما تملك مساحات عشبية شاسعة كأماكن رعاية وتربية حيوانية، ولا تنقصها المياه التي عرفت أن تستثمرها للري وللإنتاج الزراعي وإعداد كل ما تقدمه قطعانها من ألبان وأجبان وصوف وجلود. كما أنها عرفت القطن والكتان وأشادت أساطيرها بالنعجة - الأم وبمخضة الراعي وبالكتان بنمو في الأتلام تحت أشعة (أوتو) إله الشمس السومري الذي أراد أن يصنع منه غطاءً لفراش عرس أخته الإلهة (إنانا).

ومنذ القدم، نمت في البلاد الصناعات اليدوية واستثمرت تجارياً لاستيراد المعادن التي تحتاجها البلاد ووحدها المواد الثمينة والنادرة كانت تستورد من الأماكن البعيدة، وحتى قبل ظهور الكتابة واستعمالها في بداية الألف الثالث ق.م، دلت الحفريات الأثرية في تلك الفترات على مبادلات تمت مع أماكن بعيدة لمواد عديدة وبخاصة الأواني الخزفية التي عرفت سعة انتشار خلال ما عرف بفترة "العبيد" (Obeid)[1] (5300-4700 ق.م) وقد عثر على تلك الأواني في الشمال الغربي من البلاد وبلغت المتوسط الشمالي، كما ثبت تواجدها في كل من البحرين وقطر وخليج عمان وكذلك في (سوز) وهي العاصمة العيلامية في (خورستان) إيران.

كما يمكن القول أن الفترة النيوليتية (الحجري الحديث) في بلاد الرافدين ومنذ الألف السادس ق.م، شهدت توافر الصخر الزجاجي[2] الذي كان مصدره آنذاك بلاد الأناضول، إذ كان موقع (شطل - هويوك) (Çatal - Höyuk) مركزاً لانتشار ذلك الصخر الناتج عن البراكين المجاورة، كما أن المنطقة كانت غنية بمعدن النحاس وعرفت مبكراً فن التعدين وكانت لها مبادلات مع بلاد الجوار وبخاصة بلاد الرافدين وذلك منذ القرنين السادس والخامس ق.م.

وتشير أيضاً إلى أن النصوص الأسطورية (الميثولوجية) السومرية أشارت إلى عمليات استحصال واستيراد خشب من الأمانوس كما أشارت إلى استيراد النحاس

---

[1]- العبيد (Obeid): تل العبيد قرب (أور) وإلى الغرب منها.

[2]- Obsidienne.

من بلاد (ماجان) أي (عُمان)، ثمّ خلال الفترة التي سبقت دخول سرجون الكبير الأكادي تاريخ المنطقة اعتباراً من عام 2334 ق.م، فإن التجارة البحرية مع بلاد الخليج عرفت أهمية كبيرة وكانت (دلمون) أي البحرين آنذاك، تشكل مركز تجميع المواد الأولية المعدة لبلاد الرافدين وكانت (دلمون) تستورد كميات من الحبوب والأقمشة وكذلك كان الأمر بالنسبة لبلاد عيلام والعاصمة (سوز) التي كانت تعتبر مركزاً مهما لتجارة معدن القصدير.

**1-7 (د-2) الحقبة الأكادية الأولى**

تأسّس خلال حكم سرجون الأكادي، مركز تجاري كبير، كان على علاقات تجارية مع المناطق الجديدة المحتلة، بالإضافة إلى متابعة العلاقة مع (ماجان) و (دلمون) و (ملّوحا) على المحيط الهندي، حتى أن بعض تجار مدينة "أومّا" (Umma) تمركزوا في مدينة (سوز) واستعملوا وحدات الحجم والوزن المعمول بها في العاصمة الأكادية. كما أن أكاد، كانت بدورها تستورد الأقمشة والألبسة من مدينة "إيبلا" (Ebla) السورية وسوف تعرض هذه المجموعة فصلاً خاصاً عن مدن العالم القديم.

(إيبلا) التي تفوقت في التنظيم والإدارة بالإضافة إلى معاملها النسيجية، كانت تصلها كميات كبيرة من اللازورد مصدره الشرق (أفغانستان اليوم) وخلال تلك الفترة الأكادية تابعت العلاقات التجارية امتدادها نحو الغرب ونحو آسيا الصغرى.

**1-7 (د-3) خلال فترة حكم (أور) III**

بنهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد الموافق فترة (أور) III السومرية كانت التجارة الدولية التي تتوجه نحو الجنوب والشرق تمر دائماً بالبحرين (دلمون) وببلاد (عيلام) وكذلك بمدينة "جيرسو" (Girsu)، وكان اللازورد والينع والذهب والفضة يصل من (ملوحا) على الشاطئ الجنوبي من المحيط الهندي، كما كان الخشب والديوريت ونحاس الجبال يصل من (ماجان)، وفي الاتجاه المعاكس كانت بلاد الرافدين تصدر المواد المصنعة يدوياً والسلع الغذائية، والقار.

كان تجار (أور) III هم الذين يقومون بالتجارة البحرية وهم تجار مستقلون يصدرون أقمشة صوفية وحبوب وزيت السمسم، ومن مدينة "إيسين" (Isin) - تشير وثائق مهمة بوضوح إلى حرفة الخزف وإعداد الجلود (الدباغة)، كما كانت المنتجات الجلدية المصنعة في (إيسين) توزع على كامل بلاد الرافدين وفي الوقت نفسه كانت مدينة (لارسا) تصدر الأقمشة والصوف وبقيت المبادلات التجارية مع بلاد الخليج تمر دائماً (بدلمون) وهو المكان حيث كان تجار (أور) يتمونون بالعاج والأحجار شبه الثمينة والنحاس.

**1-7 (د-4) التجار الآشوريون القدماء:**

خلال الفترة نفسها تقريباً- القرن التاسع عشر - تمركز التجار الآشوريون في الأناضول الأوسط وقدموا لنا معلومات اضافية عن التجارة الدولية التي كانوا يقومون بها عبر الطرق البرية ولمسافات بعيدة.

كان عدد الوكالات التجارية الثابتة بين ثلاثين "كارو" (Karu) و (وابارتو) وهي عبارة عن مؤسسات تجارية عائلية وكانت تستورد القصدير من الشرق توزعه فيما بعد على بلاد الرافدين وعلى الساحل المتوسطي عبر مملكة "ماري" (Mari) وهي التي كانت تصدر أقمشة الصناع الآشوريين معتمدة على قوافل حمير، تجتاز بلاد الرافدين العليا وتتوجه عبر ممرات جبال طوروس نحو مركز (كانيش) التجاري، حيث عثر، كما أسلفنا، على 21500 لوحة مكتوبة تسجل نشاطات المركز التي كان يقوم بتوزيع البضائع على الوكالات التجارية الأخرى المنتشرة في بلاد الأناضول.

تعود القافلة بعد ذلك بعدد دواب أقل وهي محملة بالذهب والفضة وكان الاعتماد على نظام العرض والطلب يحقق للتجار الآشوريين، أرباحاً بالغة حتى بعد أن تحسم منها الرسوم المختلفة المتعلقة بمرور القافلة، وبالإضافة إلى ذلك، فإن التجارة الخاصة تلك كانت تخضع لرقابة السلطات الآشورية والأناضولية، كما كانت هناك رسوم تسدد إلى بلدية (آشور) عن القوافل الخارجة من (آشور) ثم تدفع رسوم أخرى في (كانيش) حيث كان للسلطة المحلية الأناضولية حق الأولوية.

**1-7 (د-5) أمان الطرق البرية**

كان يتم تحقيق أمان الطرق بواسطة السلطات المحلية في الأماكن المجتازة وتلك السلطات كانت هي أيضاً تتلقى رسوماً خاصة بدورها.

أما فيما يتعلق باستمرارية دور مركز (كانيش) رصيف التجار، يُعتقد أنه توقف عن العمل في القرن الثامن عشر ق.م بسبب انتهاء استيراد القصدير من الشرق من وراء جبال زغروس.

**1-7 (د-6) الحقبة البابلية القديمة**

كانت مدن كل من (ماري) و "إيمار" (Emar) و "إشنونا" (Eshnuna) تقوم بدور مراكز مرور (ترانزيت) في الشمال من بلاد الرافدين حيث كانت (إيمار) و (ماري) تراقبان التجارة الفراتية وكان على (إشنونا) مراقبة التجارة على دجلة إذ كانت متصلة به بواسطة قنال.

كان (لإشنونا) آنذاك دور رئيسي بالنسبة لتجارة تصدير البطائع الواردة من عيلام، تصديرها إلى سومر وإلى شمال الخليج المشترك.

وتماماً كما (آشور) بالنسبة لمركز (كانيش) الأناضولي، فإن مدينة (ماري) هي التي كان لها دور التوزيع، إذ كانت تتمون بالقصدير إما من (إشنونا) أو مباشرة من (عيلام) وتوزع قسماً منه نحو الغرب، إلى "أوغاريت" (Ugarit) وبقية مدن الشاطئ المتوسطي كما كان نحاس جزيرة (قبرص) ونحاس الأناضول يتبعان مساراً معاكساً حتى ماري.

**1-7 (د-7) دور (كركميش) و (حلب)**

كانت هناك سلع غذائية ترد من الشمال الغربي لبلاد الرافدين ومنها الخمر وكذلك الخشب عبر طريق مائي بدءاً من "كركميش" (Karkemish)[1] ومملكة "حلب" (Alep)[2]. كما كانت (ماري) تستورد زيت الزيتون من "اللاخ" (Alalah)[1]،

---

[1]- كركميش (Karkemish): على الفرات الأعلى وعلى الحدود السورية - التركية قرب (جرابلس) الحالية.

[2]- حلب (Alep): عاصمة سورية الشمالية مملكة (يمحاد) القديمة.

[1]- اللاخ (Alalah): إلى الشمال من حلقة العاصي في سهل العاموق وهي حالياً في تركيا.

وبسبب مثل هذه التجارة كان ملوك تلك المناطق يتبادلون فيما بينهم الهدايا الثمينة والنادرة.

**1-7 (د-8) بين (سيبار) و (بابل)**

كانت "سيبار" (Sippar) و "بابل" (Babylone)[1] تصدران الأقمشة نحو (آشور)، كما كان موقع (سيبار) بجوار الدجلة يسمح لها بعقد علاقات تجارية مع المنطقة الشمالية وبخاصة مع (أشنونا) حتى سقوطها على يد حمورابي. عند ذلك أصبحت (سيبار) المركز التجاري البابلي الرئيسي لاستيراد المنتجات الأجنبية.

كان قصر بابل يقوم بالإشراف على مبيعات فوائض احتياجات القصر، كما كانت الخمور والعطور تستورد من (حلب) و (إيمار) كما كان العبيد يصلون من شمال ما بين النهرين.

**1-7 (د-9) نهاية الحقبة البابلية القديمة وتضاؤل المبادلات**

بقيت (دلمون) أي البحرين في الجنوب مركز الترانزيت حتى نهاية الحقبة البابلية القديمة (1894-1595)، حيث يلاحظ تناقص العمليات التجارية مع منطقة الخليج. ثم بشكل متواصل منذ فترة (أور III) 2000 ق.م اختص تجار (أور) باستيراد النحاس اعتباراً من (دلمون) وكان العاج يصل إلى (أور) عبر الخليج العربي - الفارسي وكذلك الينع والأصبغة والبهارات والخشب الهندي ويمكن القول أن دور (أور) تضاءل هو أيضاً بالنسبة للتجارة الدولية بعد تعاظم دور (بابل) على يد حمورابي.

**1-7 (هـ) بلاد الرافدين والتجارة الدولية مع مصر وبلاد الأناضول وبحر إيجة:**

يمكن التعرف على علاقات بلاد الرافدين التجارية مع كل من مصر والأناضول وبحر إيجة من ضمن وثائق العمارنة وهي مراسلات ممالك الساحل المتوسطي مع فرعونيّ مصر (أمينوفيس) الثالث وابنه (أمينوفيس) الرابع (أخناتون) وكذلك من ضمن لوحات مملكة (أوغاريت) التجارية.

---

[1]- بابل (Babylone): عاصمة حمورابي على ضفة الفرات الشرقية وعلى بعد حوالي 180كم من جنوبي بغداد.

### 1-7 (هـ-1) مراسلات العمارنة

تضمنت مراسلات تل العمارنة عاصمة (أخناتون) الحديثة في منتصف الألف الثاني ق.م، تبادل سلع ثمينة ونادرة بين بلاد الرافدين ومصر وبابل خلال الحكم (الكاشي) آنذاك (1600-1150) ق.م، والكاشيون هم جبليون يرجح نزولهم من (زغروس) وقد حكموا بابل بعد سقوط حمورابي وانصهروا في البلاد وتابعوا حضارتها وعقدوا معاهدات مع بلاد آشور ومع مصر وكانت لهم علاقات دبلوماسية مع الحثيين وقد توطدت علاقتهم مع بلاد حاثي ومصر الفرعونية بالمصاهرة حتى أن "شوبيلوليوما" (Shupiluliuma) الأول الحثي تزوج ابنة (بورنا - بورياش الثاني) (Burna - Buriash II) (1359-1333) ق.م.

من بين الهدايا المتبادلة آنذاك الذهب والفضة، كما كان البابليون يصدرون إلى مصر كميات كبيرة من الأحجار شبه الثمينة ويعودون بكميات من الذهب والخشب والعاج.

أما (أوغاريت) على شمال الساحل السوري فقد كانت المرفأ الوحيد للبضائع الموجهة من بلاد ما بين النهرين إلى بحر إيجة وقبرص، كما كانت (أوغاريت) على علاقات تجارية مع "كركميش" (Karkemish) وقد عقدت معها اتفاقيات حصرية - الحقوق كما عقدت اتفاقيات لحماية التجار بين أوغاريت والبلاد الحثية. وهناك مدينة أخرى كانت تؤمن الصلة مع آسيا الصغرى هي "الاخ" (Alalah) وكان لدورها أهمية في المبادلات التجارية مع (إيمار) والبلاد البابلية، يضاف إلى ذلك نشاط كل من "نفر" (Nippur) و (سيبار) في المجال التجاري.

### 1-7 (هـ-2) تطور وسائل النقل قوافل الجمال

تعرفنا على قوافل الحمير التي كانت تحمل الأقمشة من آشور متوجهة إلى مركز كانيش التجاري ومنها إلى ما وراء جبال زغروس، وكانت تقطع مسافات طويلة تعود محملة بالقصدير إلى (كانيش) دام ذلك حتى بداية الألف الأول قبل الميلاد حين عرفت بلاد الرافدين الجمل (إيبيلو) القادم من الجزيرة العربية وكذلك الجمل الأسيوي وقد درج استعمال قوافل الجمال آنذاك في التجارة الدولية خلال الفترة الآشورية - الجديدة (1075-722) ق.م وتلك الفترة لم تقدم سوى القليل من العقود المسجّلة باللغة الآرامية ومن بينها عقود نقل مواد قابلة للتلف.

كما أن سياسة الاحتلال التي سار عليها الملوك الآشوريون، كان من شأنها إدخال مبادلات دولية جديدة بواسطة الاحتلال والنهب والجزيات المفروضة على الشعوب المغلوبة على أمرها التي كانت الإمبراطورية تحصل منها على عدد كبير من المواد والسلع النادرة والثمينة. وقد توبع الاستيراد من مصر فيما يتعلق بالعاج ومع سورية التي كانت لها مهارة معترف بها في معالجة تلك المادة.

خلال الفترة البابلية الجديدة (626-538) ق.م، كانت معظم الوثائق التجارية تصدر عن المعابد الكبيرة، وكانت هناك أيضاً بعض العمليات التجارية الخاصة التي تنفذها بعض العائلات البابلية التي كانت تستورد مادة القصدير من المناطق الشرقية اعتباراً من مدينة "أوبيس" (Opis) التي تقع على مصب ديالا في الدجلة.

ثم اعتباراً من المناطق الغربية، كانت بلاد بابل تستورد النحاس القبرصي والحديد من بلاد بحر إيجة والشبه من مصر والصباغ من فينيقيا كما كانت تستورد الخمر من سورية.

كانت البلاد البابلية تموّل البعثات التجارية التي كانت تتمون من البلاد الأجنبية كما كانت تشتري بعض تلك المواد الأجنبية من تجار أجانب في بابل.

### 7-1 (و) ماذا عن تجارة المفرق؟

تتوزع تجارة المفرق على الأسواق المكشوفة أو المسقوفة التي عرفتها وتعرفها حتى اليوم مختلف البلاد العربية في مدنها وقراها، في أماكنها العامة، ومنها ما كان سوقاً مختصاً ببيع مادة واحدة (سوق الجمال) أو بيع مجموعة مواد من عائلة واحدة (سوق البذورات) أو (سوق البهارات) وهناك تجارة فردية للمفرق تبيع عدداً من المواد في الدكاكين المستقلة.

#### 7-1 (و-1) السوق المحلي في العالم القديم

كانت تجارة المفرق في بلاد الرافدين تمارس بصورة عامة في الشارع الذي يحمل أكاديا تسمية "سوقو" (Suqu) ويتم ذلك بواسطة منشآت مؤقته: (بسطات ومظلات) وقد وردت بعض الإشارات إلى توفر وجود مثل هذه الأماكن في بعض التعابير التي وردت في النصوص المتوفرة.

ينطبق التعبير الأكادي "ماهيرو" (Mahiru) يقابله تعبير (كي - لام) السومري. وهو عبارة عن مكان مكشوف في موقع محدد حيث تتم عمليات شراء

وبيع كما أن ملوكاً سومريين حذروا من الغش والتلاعب في الأوزان فإن تعبير (بيت ماهيري) أو (بيت البضائع) يشير إلى نوع من المستودع لاحتواء البضائع. كما يمكن القول أن العمليات التي كانت تتم في ذلك المكان لم تصلنا تفاصيل حولها.

تعرفنا آنفاً على تعبير (كارو) الذي يشير في الأساس إلى معنى (رصيف) أو حي مرفئِيّ واستعمل بصورة عامة للأدلة على حي التجار خلال الحقبة البابلية - القديمة (1894-1595) وعنى أيضاً (وكالة تجارية) في الخارج أو متجر مشتريات وهذا ما كان مألوفاً خلال الحقبة الآشورية - القديمة (1974-1735) حيث كانت البضائع تسلم وتسدد عنها الرسوم وتجري حولها عمليات تجارية متنوعة في (كانيش).

أما تعبير (بيت كاري) فهو يشكل نوعاً من المكتب المركزي المكلف بتحصيل الرسوم المفروضة على التجار المتمركزين في السوق والذين يملكون فيه حسابات ومستودعات.

مثل هذه العمليات كان يقوم بها في الماضي المعبد أو القصر، وكان لهاتين المؤسستين دور لا يمكن إنكاره في مجال المبادلات التجارية.

**7-1 (و-2) الدكاكين**

يمكن القول أن بلاد الرافدين عرفت أماكن لممارسة التجارة الصغيرة كما كان الحال فيما يسمى سوق "شيماتي" (Shimati) أي شارع المشتريات حيث كان الأفراد يحصلون على المواد المنتهية من ورش الحرفيين ومثل هذه الأماكن التي كان يعمل فيها الحرفي، لدينا عنها أمثلة واضحة فيما كشفته حفريات (أوغاريت) فيما عرف بالحي المنخفض وهو حي الحرفيين في المدينة حيث عثر مثلاً على مشغل صائغ، ترك لنا فيه قالباً لصب حلية تزينها نقوش تمثل الرمان وشجر الرمان لا يزال متوفراً في منطقة (أوغاريت) حتى اليوم.

كما أن المنقبين عثروا في الحي المنخفض على بيت أحد الحرفيين الذي خصص غرفة منه مفتوحة على الشارع اعتبرها المنقبون دكاناً يؤمّها المشتري للحصول على ما ينتجه الحرفي من قطع معدة للبيع.

## 7-2- مملكة أوغاريت والتجارة

موقع (رأس - شمرا)/أوغاريت هو وحده الذي يروي لنا قصة التجارة من على ساحل المتوسط الشرقي وإليه. شغل إنساننا القديم موقع رأس - شمرا منذ العصر الحجري الجديد (النيوليتي) اعتباراً من حوالي 6500 ق.م، وتراكم استقرار الإنسان في ذلك الموقع مجتازاً الزمن، مراكماً على سطحه وفي طبقاته المراحل الحضارية مستفيداً من منطقة خصبة تحيط به، ومن بحرٍ شماله بلاد الأناضول وعلى طول ساحله مدن وممالك شقيقة، تعاملت معها مملكة (أوغاريت)، وهي التي عرفتنا على المبادلات التجارية فيما بينها، وإلى غربها في عرض البحر صخرة قريبة تمد نحوها أصبعاً يشير إلى علاقة معها، هي جزيرة قبرص التي تعاملت معها بامتياز متعددية العلاقات التجارية وصولاً إلى تقارب العائلتين المالكتين في كل من (قبرص) و (أوغاريت) عن طريق المصاهرة التي تكررت على ما يظهر، يشير إلى ذلك تكريم أرواح الأجداد المشتركين.

حين تعدّت سفن (أوغاريت) جزيرة قبرص، عقدت مع جزيرة (كريت) علاقات تجارية نامية واستقبلت (أوغاريت) سفن (كريت) المحمّلة بأوعية فخارية، تغلب عليها تزيينات ألهمها البحر في تكوينها وألوانها.

عن (أوغاريت) وصلتنا أيضاً أخبار مدن الساحل المتوسطي شأن بيبلوس (جوبلا) و (صيدا) و (صور)، وهكذا، وبشكل غير مباشر، عرفتنا (أوغاريت) على بعض معالم تجارة تلك الممالك، وقد قدمت لنا في نصوصها بعض ما لم تستطع الحفريات الأثرية تقديمه على أن أغبار المدن الحديثة المبنية فوق تاريخها القديم حالت دون القيام بتنقنيات نظامية، وكان علينا الاكتفاء بما أوردته لوحات أوغاريت التجارية وبعض النصوص الفرعونية التي كانت لها علاقات مميزة مع (جوبلا) ومع بقية الممالك الساحلية الكنعانية خلال ما عرف في مصر بفترة العمارنة التي تزامنت مع حكم كل من (أمينوفيس) الثالث وبعده ابنه أمينوفيس الرابع (أخناتون) بين عامي (1390 و 1330) ق.م وقد أشارت لوحات تل العمارنة بلغتها الأكادية التي كانت اللغة الدبلوماسية العالمية آنذاك إلى تفاصيل عديدة عن المبادلات وبخاصة عن علاقات نوع من التبعية أدت إلى التمرد على النفوذ الفرعوني،

كما نجحت (أوغاريت) بتحقيق توازن علاقاتها مع كل من مصر الفرعونية والإمبراطورية الحثية، ومن حسن الحظ، أن أوغاريت، كما بلاد الرافدين كتبت على الفخار وليس على أوراق البردي وكذلك فعلت مصر حين تراسلت مع الساحل المتوسطي وبلاد الرافدين باللغة الأكادية المسمارية.

نقدم فيما يلي، مع الاكتفاء بمجال التجارة، أهم ما تضمنته الوثائق الأوغاريتية عن معالم التجارة خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

لابد من الإشارة إلى أن مملكة أوغاريت كانت بشكل خاص مملكة تجارية، أسطولها البحري تجاري، وقد ضمنت لها تجارتها ثراءً، كانت تخشى أن يحسدها عليه جارها الشمالي وهو مملكة (سيانو) العدوانية حتى أنها فضلت شراء أمنها بالذهب والفضة من (أزيرو) الأموري ابن (عبدي عشيرتا) الذي أطلق التمرد على النفوذ المصري آنذاك وذلك بعقد اتفاقية دفاعية مع مملكة (أمورو) يوم كان يحكمها (أزيرو) وهو الذي تابع مع أخوته ثورة الأب الذي أطلق التمرد وعم ذلك على كامل الساحل وسوف تعود هذه المجموعة في مرحلة، تالية إلى تفاصيل ذلك التمرد الذي يقدم لنا بالإضافة إلى الحس الوطني والتوق إلى الحرية صورة حية عن مجتمعات ممالك الساحل المتوسطي خلال تلك الحقبة.

### 7-2 (أ) البضائع والسلع المتبادلة مع المدن المجاورة:

يعلمنا نص أوغاريتي، أن البضائع المتبادلة بين (أوغاريت) والممالك المجاورة التي استعرضت خلال اجتماع عقد فيما يعتبر (غرفة تجارة أوغاريت) خلال السنة المنصرمة هي كما يلي:

- طحين وزيت وألبسة صوفية وأوان وأسلحة ومعادن.
- تسليم منسوجات إلى مدينة (جبالا) أي (جبيل).
- تسليم حليب وأسماك وصوف وألبسة وأقمشة إلى مدينة (أشدود).
- تسديد كمية من الفضة إلى طواقم سفن من أرواد لقاء تقديم خدمات بحرية.

اشتهرت مملكة (صور) آنذاك بتجفيف الأسماك وحفظها، وصدّرت إلى مصر 35 سلة من الأسماك المجففة، وقد أشارت بردية مصرية أن مدينة صور هي: (أكثر غنى بالأسماك منها بالرمال) وكانت صور تملك أسطولاً تجارياً وأسطول صيد اشتهرت بهما.

كما يمكن القول أن علاقات (أوغاريت) التجارية مع مملكة صور كانت ناشطة، وقد توقفت جزئياً حين أصاب وباء الطاعون، صور البرية ونجت منه صور البحرية، وهو رأس المدينة الممتد في عرض البحر.

أشارت إلى ذلك رسالة موجهة من (أخي ملكو) إلى (أور - بعل) يعلمه فيها أن ابنه أصابه المرض ونقل إلى رأس المدينة حيث استعاد صحته وتعدد الرسالة البضائع والمواد التي كانت صور تتعامل بها إنتاجاً وتصديراً.

أشارت الرسالة إلى (طلبية) من النحاس والفضة والأقمشة المنسوجة المتعددة الألوان، كما أشارت إلى طلب قمصان من الكتان الأزرق ومن الصوف الأزرق[1] الجيد وكذلك كمية من الكمّون والأسماك المجففة.

بين (أوغاريت) ومدينة (كركميش) حيث كان يقيم وكيل الملك الحثي المكلف بالإشراف على علاقات المملكة الحثية مع ممالك الساحل التي كانت تحت نفوذها آنذاك ومن بينها (أوغاريت) و (أمورو)، وكان ملك (كركميش) ينظر ويحكم في القضايا الخلافية التي لم تكن تتطلب تدخل الملك الحثي.

وفي مجال التجارة تم بين (أوغاريت) و (كركميش) عقد اتفاق يتضمن السهر على سلامة التجار بين المملكتين وقد لحظ الاتفاق المشار إليه، أنه:

***"في حال تعرض أحد التجار للقتل، فعلى البلد حيث وقع الحادث القيام بالتحقيق، كما يلحظ الاتفاق تعويضات تسدد إلى بلد المواطن المقتول"***

### 7-2 (ب) *هامشي أزمة دبلوماسية:*

يعلمنا نص أوغاريتي عن عملية غش تجاري، كادت تسبب أزمة دبلوماسية بين أوغاريت والمملكة الحثية، وملخص القضية، أن الملك الحثي كان شغوفاً

---

[1]- أعلمنا الصديق الفنان ناصر السومي الذي يهتم بالأصبغة الكنعانية أن اللون الأزرق النيلي، ينتج هو أيضاً عن أصداف المريق ويتطلب كميات أكبر من الأصداف مما يتطلبه الحصول على اللون الأرجواني.

بأحجار اللازورد، وقد وعده ملك أوغاريت بتزويده بكمية منها، لذا كلف ملك (أوغاريت) أحد تجار (أوغاريت) بإرسال الأحجار المطلوبة وتم ذلك.

لكن سفير ملك (أوغاريت) لدى البلاط الحثي، كتب لملكه متسائلاً أمامه: (ما هذه القضية التي كتبت بصددها إلى الملك (أي الملك الحثي) ؟ قائلاً: (ها أنا قد أرسلت تلك الأحجار اللازورد).

ويقول السفير في رسالة تالية:

***"قلب الملك غضب بشدة، وعلي أنا صب مهام غضبه، هذا الرجل؟... إنه جمع عن سطح الأرض أحجار (كاما) وجعلها تحمل إلي....!".***

ثم يضيف السفير:

***"رجاء، فيما يتعلق بالإرساليات، يجب ألا تعمل هذا، وألا تجمع أحجار (كاما)، وترسلها لأن قلب الملك سوف يغضب؛ عليك إيجاد لازورد من أي مكان شئت[1] واجعله ينقل إلى الملك، لكي لا يغضب قلب الملك أكثر ضد سيدي.***

***إذن فليفتش سيدي عن أحجار لازورد وليجعلها تحمل إلى الملك لأن الملك هو هاو كبير لأحجار اللازورد. وإذا ما جلبت لازورداً للملك، سوف ترى أن الملك يصنع من أجلك أشياء حسنة".***

## 7-2 (ج) تجارة برية مع المدن الفراتية وتربية الخيول والاتجار بها:

لم تهمل (أوغاريت) تجارتها مع المدن الفراتية الواقعة في الشمال الشرقي والتي كانت نشطة على ما يظهر، ففي رسالة موجهة إلى مدينة "إيمار" (Emar) من قبل أحد العملاء التجاريين للاستيراد والتصدير، إلى أحد عملائه في (أوغاريت)، يعلمه عن عدم تمكنه المشاركة في العيد الديني لعشيرته، وعن إيفاد مساعد له لكي يجلب من (أوغاريت):

***"القصدير والنحاس، والصوف الأزرق وحجر الشب"***

كانت (أوغاريت) أيضاً تهتم بتربية الخيول والمتاجرة بها، أكدت ذلك رسالة عائدة إلى القرن الثالث عشر ق.م تم كشفها في (أوغاريت) وهي صادرة عن مدينة (ماري) على الفرات السوري.

---

[1]- المكان المعروف والمفضل للاستحصال على اللازورد في تلك الحقبة كان (أفغانستان).

تتضمن الرسالة طلب تسليم أحصنة كان مشتريها من أوغاريت دفع ثمنها سابقاً والغاية من استعجال طلبه هو اعتقاده بأن الملك الذي تخضع له منطقته سوف يستعرض المركبات قريباً.

كي يتضح محتوى هذه الرسالة لابد من وضعها ضمن محيطها التاريخي وهو أن مشتري الأحصنة من (أوغاريت) كان قد فر من بلده لأنه كسر في معركة شارك فيها وبعد عودته، كان عليه تقديم هدية ولاء للملك المنتصر، كما يمكن الاعتقاد اعتماداًعلى مضمون الرسالة أن الملك كان يفرض على المتنفذين في مملكته تقديم وتجهيز عربات حربية توضع تحت تصرفه لدى الحاجة وكان يستعرض بنفسه تلك العربات.

قد يتعاصر هذا النص مع مرحلة التوسع الآشوري واصطدام آشور مع مدينة بابل وسقوطها على يد توكولتي - نينورتا (1244-1208) ق.م.

ومما يؤكد لنا أيضاً اهتمام أوغاريت بتجارة الأحصنة هو العثور على نص لوحة كتبت بالأبجدية الأوغاريتية تم كشفها عام 1992 في إحدى مكتبتي جنوب المدينة العالية، تتضمّن معلومات مهمة حول معالجة الأحصنة من لدغ الأفاعي إذ كانت الأحصنة ترتع حرة في سهول مملكة (أوغاريت) وتتعرض للدغ الأفاعي السامة التي كان خطرها يزداد عندما كانت تبدل ثوبها في الربيع.

يتميز النص بطابعه الطقسي التعويذي وطابعه الميثولوجي إذ يرسم شخصية الفرس - الأم (أم الفحل) التي تخشى على أبنائها من سم الأفاعي وتطلب من أمها الشمس (شفشو) أن تنقل رجاءها إلى الإله (إيل) سيد الآلهة لأن يستخرج من الأفعى سمها ولكن الإله (إيل) يكتفي بتقييد الأفعى ويأخذ كرسياً ليستريح[1] و (أم - الفحل) لا تكتفي بذلك وتكلف إلهة الشمس التوجه إلى عدد من الآلهة منهم (بعل) و (دجن) و (عناة) و (باريخو) و (رشف) و (زز) و (كماتو) و (كاثاروحسيس) و (سحر وسالم) و (حورون) جميع الآلهة لم يستأصلوا سم الأفاعي بل اكتفوا برقية تفتنها وتقيد حركتها فيما عدا الإله (حورون) وهو إله شفاء وحماية ويضيف النص:

---

[1]- ملاحم أوغاريت تصف الإله (إيل) سيد الآلهة كعجوز ذي لحية لازوردية وتصف إحداها أنه اجتاح لمقوّ للتمكن من جماع ساكبتي الماء اللتين ولدتا له (سَحَر) و (سالم) وهما نجم الصباح ونجم المساء.

وهذا هو (حورون) يتوجه إلى مدينة في الشرق، وبواسطة الطرفاء، يقصي السم وبواسطة عنقود من البلح يطرده، وبواسطة الأخذة[1] يودي به، ثم يعود إلى بيت (الفرس - الأم):

"يصل إلى باحتها والسم يفقد قوته
بسرعة تدفقِسيل جارف
يتشتت وكأنه فيٍ خيط ماء".

لكن (أم - الفحل) تمنعه من الدخول، من دخول بيت التعويذ، إلا بعد أن يعدها كمهر لها أن يقدم الأفاعي والسقاية المسمة، وصغار الزواحف، يقدمها هدية لها. يقبل (حورون) بذلك يقع النص في 76 سطراً عثر عليه في مكتبة المدعو (رشف - آبو).

## 7-2 (د) ملوك آشور وغنائم وهدايا كانوا يحصلون عليها من ممالك الساحل المتوسطي:

نحن نعلم أن الإمبراطورية الآشورية، بالإضافة إلى توسعها نحو الشرق، أخضعت كامل ممالك الساحل المتوسطي، وعند ذلك التقت عبقريتان تجاريتان تميز بها الآشوريون وكنعانيو الساحل (فينيقيو المستقبل).

نقدم فيما يلي مقتطفات من النصوص التي تركها ملوك (آشور) حول الغنائم والهدايا التي كانوا يتلقونها.

✯ كان الملك الآشوري (شمسي - أدد) (823-811) قد فرض الجزية على شمال الشاطئ السوري وعلى مملكة آرام الدمشقية إلا أنه حتى قبل وفاته، وحين قويت دمشق رفضت هي وملوك الشمال والسامرة في الشمال الفلسطيني دفع الجزية لذلك فإن (أدد - نيراري) الثالث الذي تولى الحكم بعد والده (شمسي - أدد) توجه إلى المنطقة في السنة الخامسة من حكمه وترك لنا النص التالي مشيراً إلى رد فعل الممالك المعنية حين سمعت بتحركه:

***"ملوك بلاد هاتي (ويقصد الشمال السوري) حين أصبحوا أقوياء كانوا قد رفضوا تقديم هداياهم إبان حكم والدي (شمسي - أدد) ولكن بريقي الرهيب أطاح بهم.***

---

[1]- الأخذة تذكر بـ (شعتقت) التي كلفها الإله (إيل) أن تعتق المرض من جسم الملك (كيريت).

***(...) عند ذلك سقطوا على قدمي وفرضت عليهم عائدات وجزية يرسلونها إلى آشور، وتلقيت منهم ذلك.***

يضيف (أدد - نيراري) الثالث (810-783) ق.م بعد ذلك متحدثاً عن مملكة دمشق الآرامية:

***"ثم طوقت مريء[1] (دمشق) وتلقيت منه 100 وزنة ذهباً و 1000 وزنة فضة "***

***"في سنة واحدة أخضعت تحت قدمي بلد (أمورو) وبلد هاتي (الشمال السوري) وحددت لهما للمستقبل العائدات والجزية".***

ويشير أيضاً إلى أنه تلقى من ملك دمشق:

***"2000 وزنة فضة و 1000 وزنة نحاساً و 2000 وزنة حديداً. وبعد تلقي جزية (السامرة) و (صور) و (صيدا)، يشير إلى أنه ذهب إلى البحر الكبير وأقام له صورة في (أرواد) ثم صعد إلى جبل لبنان وقطع 100 جذع أرزاً لاحتياجات قصره ومعابده.***

ثم بعد ذكره إخضاع بلد (أودومو) وبلد (فلسطو) يعود إلى ذكر خضوع ملك دمشق الذي سلمه:

***"2300 وزنة فضة و 20 وزنة ذهباً و 200 وزنة شبهاً (برونز) و 5000 وزنة حديداً، وألبسة مرزكشة متعددة الألوان وكتاناً وديواناً مطعماً ومرصعاً بالعاج وأرزاقاً وممتلكات من قبله لا تحصى".***

أما تغلات فلصر الثالث (745-727 ق.م) وفي السنة الثامنة من حكمه عام 737 سجلت محفوظاته حملة على الشمال السوري ومملكة (حماة) على العاصي والمدن التابعة لها على شاطئ البحر (...) ضمها إلى مناطق آشور (...)، يشير بعد ذلك إلى استسلام (عسقلان) واحتلال (غزة) التي فر ملكها إلى مصر مضيفاً أنه سلب من ملك غزة:

***"[...] ممتلكاته وآلهته وأمرت بصنع تماثيل لآلهتي العظام أسيادي وتمثالاً ملكياً لي من ذهب وأقمتها في قصر (غزاتو) واعتبرتها آلهة لبلدهم وفرضت عليهم [...].***

يكمل نص آخر ما فرضه على غزة:

---

[1]- (مريء) هو لقب عرف به ملك دمشق الآرامي آنذاك.

*"ذهباً وفضة وألبسة مزركشة وكتاناً".*

حين تولى (سرجون الثاني) (721-705) أمل ملك (غزة) التحرر من سلطة (آشور) بمساعدة جنرال مصري وتشجيعه، ولكن سرجون قبض على ملك (غزة) وهرب أمامه الجنرال المصري إلى مكان مجهول. كما أن السامرة اتفقت مع عدو (؟) وتمنعت عن تسديد العائدات ولكن (سرجوناً) حارب ضدهم وأسر منهم 27280 شخصاً مع مركباتهم، فأخذ منها 200 مركبة وضمها جيشه، وخصص البقية للاستعمال في آشور[1].

في عام 701 ق.م حاصر (سنحريب) (704-681) ق.م (حزقياؤ)[2] ملك (أورشاليمو) في مدينته الملكية كعصفور في قفص[3] وسلخ مدناً من بلده وسلمها إلى ملك غزة. ويضيف النص:

"أما هو (أي حزقياؤ) فإن بريق سيادتي الرهيب، أخافه فأرسل بعد مغادرتي إلى (نينوى) مدينة سيادتي، المرتزقة وجنود النخبة الذين جلبهم إلى مدينته الملكية لدعم مقاومتها والذين اتخذتهم كفرقة مساعدة.

أرسلهم مع 30 وزنة ذهباً و 800 وزنة فضة و(إثمد) منخوب وكتل كبيرة من العقيق الأحمر، وأسرّة من الأبنوس والبقس والعاج وأشياء أخرى، كنز ثمين وبنات ونساء من قصره ومنشدين ومنشدات وأوفد رسولاً على حصان لتسليم الجزية وتقديم الولاء وقبول التبعية".

ويشار في نص آخر إلى الهدايا السابقة مضافاً إليها:

"ألبسة مزركشة متعددة الألوان، وكتان وأرجوان أزرق وأرجوان أحمر، وأوان من البرونز والحديد والنحاس والقصدير ومركبات وتروس ورماح ودروع وسيوف من الحديد وسهام ومعدات قتال بأعداد كبيرة".

---

[1]- إنها المرة الأولى التي يشار فيها إلى المركبات كغنائم حرب.

[2]- إنه الملك (حزقياس) والخط العريض يحتفظ صوتياً بالتسمية الآشورية.

[3]- لأول مرة في عام 701 يرد ذكر (أورشاليمو) منذ نهاية القرن التاسع ق.م. وحتى بداية القرن السادس مما يوحي بعدم أهمية الموقع عبر تلك الفترة الطويلة.

يتبين من العرض أعلاه أن المعادن بمختلف أنواعها، سواء أكانت ثمينة، كالذهب والفضة، أو المعادن التي يتوزع استعمالها بين صنع الأسلحة أو الآنية المختلفة تلك المعادن، هي التي كان الملوك يحملونها إلى العواصم بالإضافة إلى الألبسة الاحتفالية المزركشة والمتعددة الألوان. وبما أننا في العالم الفينيقي، فأقمشة وألبسة الصباغ الأرجواني الأزرق والأحمر، كما ورد ذكر الكتان الذي كان أقل انتشاراً مما كان عليه في مصر. أما الآنية الذهبية والفضية، وكذلك الأسرة المرصعة بالعاج أو المنحوتات العاجية، وكل ما تم تصميمه وصنعه مما يحوز إعجاب ناظره ويثير فيه رغبة الامتلاك، كان من المقتنيات التي تقدم إلى الملوك.

### 7-3- المعادن وحوض المتوسط

يعيدنا موضوع المعادن إلى كتاب (الفينيقيون والألعاب الأولمبية) الذي أشار تفصيلاً إلى توفر مناجم المعادن في مختلف مواقع حوض المتوسط كما أشار إلى تمركز الفينيقيين في تلك المواقع[1]، ويمكن القول أن مناجم المعادن المختلفة كانت في أساس حركة المبادلات التجارية في حوض المتوسط، وكما أشارت الفقرة 7-2 (د) فقد كانت المعادن من بين الغنائم والهدايا التي كان ملوك آشور يتلقونها من الممالك الساحلية والداخلية التابعة لإمبراطوريتهم خلال الحقبة الآشورية الحديثة (1075-722) ق.م.

### 7-3 (أ) حملة الأطواق وحوضه المتوسط ودور أوغاريت

تعرض كتاب (الفينيقيون والألعاب الأولمبية) المشار إليه أعلاه وباقتضاب إلى موضوع التعدين ونشره في مختلف أنحاء حوض المتوسط وتعديه حتى أوروبا من قِبَل من تمّ تسميتهم (بحملة الأطواق) و (كلود شيفر) هو الذي تولى التنقيب في موقع (رأس شمرا - أوغاريت) وفي حي المرفأ التابع لها (مينة البيضا) منذ عام 1929 وحتى عام 1939 واستأنف الحفريات بعد توقفها خلال الحرب العالمية الثانية وحتى عام 1972 وقد نشر مجموعة كتب حول حفرياته ونتائجها حملت عنوان "أوغاريتيكا" (Ugaritica) وقد تضمن الكتاب الثاني من المجموعة تلك[1] دراسة ضافية حول

---

[1]- من منشورات دار علاء الدين بدمشق لعام 2011 لـ قاسم الشواف.

[1]- Ugaritica II.

(حملة الأطواق) التي عثر عليها مع طراز خاص من الخناجر والدبابيس البرونزية التي اشتمل عليها الأثاث الجنائزي في مقر أوغاريت وغيرها من المدافن الأوروبية.

### 3-7 (ب) الأطواق في أثاث القبور الجنائزي:

يتابع (كلود شيفر) في دراسته تواجد الأطواق يرافقها عدد من القطع الأخرى: خناجر وبلطات ودبابيس ورؤوس رماح ذات نهاية أسطوانية مفتوحة تسهيلاً لتركيبها على حاملها، جميع تلك المكتشفات كانت ذات طراز ودقة صنع لم يعثر عليها من قبل في (أوغاريت) وجميعها برونزية تعود إلى فترة البرونز الوسطى الأولي أي بين عامي (2100 و 1900) ق.م:

- الأطواق هي عبارة عن قضيب بروزني ملوي على شكل حلقة مفتوحة ينتهي طرفاها بتبسيط أو بتشكيل حلزوني وكانت تزين عنق حاملها.
- الخناجر شفرتها على شكل مثلث وقبضتها تنتهي بهلال فتحته نحو الأسفل.
- البلطات سواء أكانت عريضة فتحتها أم ضيقة فإنها كانت تحمل تفريغين لتركيب مقبض البلطة.
- أما الرماح فهي كما تم وصفها أعلاه وكانت مصبوبة كقطعة واحدة وتمكن من لف معدن قاعدتها حول الحامل الخشبي وتثبيتها بواسطة حلقة.
- دبابيس رأسها مدبب وأحياناً سلك برونزي ملفوف على شكل ضاغط.

جميع هذه المكتشفات التي تضمنها الأثاث الجنائزي لبعض القبور الأوغاريتية دلت على أن صانعيها كانوا عاملين ماهرين وذوي تجربة كبيرة في فن التعدين واستعمال البرونز.

يضيف كلود شيفر في دراسته أن تحليل معدن البرونز في القطع المكتشفة يدل على نسبة عالية من القصدير المضاف إلى النحاس التي بلغت 18٪ وهي نسبة كبيرة تدل على أن صانعها لم تكن تنقصه مادة القصدير[1]. يلتقي ذلك مع اكتشاف جرة في (جوبلا) أي (جبيل) معاصرة لمكتشفات أوغاريت عثر عليها

[1]- عرض هذا الكتاب بالنسبة للأشوريين في بلاد الرافدين لجوءهم إلى استيراد معدن القصدير من وراء جبال زغروس الشرقية.

السيد "مونتي" (Montet) وكانت الجرة تحتوي على قطع برونز خام بمعنى أنها لم تشذب بعد صبها ومن الصعب التفكير كما يقول (كلود شيفر) أن القطع الخام تم استيرادها من خارج جبيل أي من (إسبانيا) مثلاً التي أصبحت فيما بعد مصدر القصدير الذي كان يحصل عليه فينيقيو المتوسط، فيما بعد.

### 7-3 (ج) مناجم منطقة (جبيل):

وبما أن (جبيل) كانت بالإضافة إلى (أوغاريت) مركزاً آخر عرف (حملة الأطواق) ونشاط الإنتاج البرونزي فإن الباحث (شيفر) يوضح أن منطقة (جبيل) كانت في الماضي تملك مناجم نحاس نفدت كمياتها ولم تدم طويلاً ولكنها تميزت وهذا نادر جداً بأنها كانت تتجاور مع تواجد خامات قصديرية كما كان الحال في جبال (كسروان) التي لم تكن بعيدة عن جبيل مما جعل (شيفر) يتساءل إذا ما كان البرونز قد أنتج صدفة في جبيل تبعاً لذلك وأما جبيل كانت إحدى المناطق النادرة التي عرفت برونزاً نتج طبيعياً وصدفة ويضيف أن هذه الفرضية هي صعبة الإثبات ولابد من الإشارة أن (بيبلوس) جبيل عرفت في الماضي صناعة برونزية نشطة منذ بداية عصر البرونز الأوسط الأول (2100-1900) ق.م. يفسر ذلك أن (جبيل) و (أوغاريت) كانتا أهم مركز لحملة الأطواق في آسيا الغربية.

### 7-3 (د) المنقب (شانتر) والقوقاز:

يعود (شيفر) بعد ذلك إلى التعليق حول محتوى جرة (جبيل) مذكراً بأنها كانت تحتوي على قطع لم تعرف التشذيب بعد صبها معتبراً أنها لابد أن تكون محلية وأن القطع التي احتوتها وبخاصة (الأطواق) والدبابيس ذات الرأس المحدب والخرز البرونزي والحلقات البرونزية فالمستبعد جداً أن تكون مستوردة من منطقة (القوقاز) البعيدة وبخاصة القطع الخام مع العلم أن منطقة القوقاز لم تقدم لنا قط أية قطع مماثلة.

إن المنقب "شانتر" (E. Chantres) وهو الأول الذي أطلق تسمية (أطواق)، على الحلقات المفتوحة وهو الذي نفذ حفريات أثرية في (القوقاز) وعثر على حلقات مفتوحة صغيرة الحجم ولا يمكن أن تحمل حول الرقاب وتلك الأطواق الصغيرة المحفوظ منها نماذج في متحف "سان جيرمان" (Musée de Saint - Germain)[1]

---

[1]- سان جيرمان (Musée de saint- Germain): في ضاحية باريس الشمالية الغربية.

الفرنسي كانت معدة لتزين جانبي الرأس على مستوى الصدغين وهي التي أطلق عليها (بايرين) تسمية (حلقات الرأس).

هكذا استبعد (كلود شيفر) القوقاز كمصدر للأطواق ويؤكد أن الأطواق البرونزية تم تصنيعها في (أوغاريت) وفي (جوبلا) بشكل خاص.

### 3-7 (هـ) تمثالان فضيان للإلهين من أوغاريت يحملان أطواقاً:

في عام 1932، اكتشف (كلود شيفر) في أوغاريت قرب معبد الإله بعل وفي مخبأ على عمق 1.3م من التربة الحالية تمثالين فضيين يعودان إلى المستوى الثاني في أوغاريت (1900-1750) ق.م.

وهنا يعترف (كلود شيفر) بأنه انجرّ إلى الآراء التي كانت متداولة آنذاك حول تاريخ تماثيل مماثلة في كل من متحف اللوفر والمتحف البريطاني ومتحف برلين التي كانت تعود إلى القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م. لكنه أكد بعد ذلك رأيه الخاص حول الفن السوري الذي كما يعتقد أنه تأثر بثلاثة تيارات فنية نتجت عن تفاعله مع كل من الحضارة الفرعونية خلال حقبتي الإمبراطورية الوسطى والجديدة وكذلك الفن المينوي (نسبة إلى الملك مينوس في جزيرة كريت) والفن البابلي.

مضيفاً بعد ذلك أن الهجرات التي أتت من مناطق الهلال الخصيب، واستقرت على ساحله الغربي ويقصد الأموريين في كل من أوغاريت وعمريت وجبيل وكامل الساحل عرفت هجرات أتينات أخرى قدمت من الجبال المحيطة، وكانت هي أيضاً تمارس إنتاجاً (فنياً) أو حرفياً تراكب مع الإنتاج الفني المحلي وتأثرت به حساسية الشعوب المتفاعلة فيما بينها وأدى ذلك إلى فن سوري تميز بما كشفت عنه تماثيل أوغاريت ونُصُبها المعروفة.

### 3-7 (و) حملة أطواق آخرون تم كشفهم في أوغاريت:

خلال حفريات عام 1932 يوضح (كلود شيفر) أنه عثر على نصبين تذكاريين يعودان إلى معبد تأكد فيما بعد أنه كان معبداً للإله بعل. النصبان أبعادهما متماثلة وهما من الحجر الكلسي عثر عليهما في مكان غير بعيد عن موقع التمثالين الفضيين وكانا بجوار بقايا جدار يعود إلى معبد للإله بعل هدم في نهاية الفترة الأوغاريتية الوسطى الثانية أي (1900-1750) ق.م وفي بداية الفترة

الثانية أي (1750-1600) ق.م ويتعاصر ذلك مع حقبة انهيار التأثير الفرعوني نتيجة الثورة الاجتماعية الداخلية خلال حكم الإمبراطورية الوسطى.

النصبان هما معاصران لتمثالي الفضة اللذين يعودان إلى الحقبة الزمنية بين (2000 و 1800) ق.م وهما يمثلان الإله بعل والإله موت. والإلهان ممثلان يحملان سلاحاً ثقيلاً رمحين وينتعلان (صنادل) مما يشير إلى أنهما وصلا إلى (أوغاريت) برفقة جبليين من حملة الأطواق.

ورأى (كلود شيفر) أن نقش النصبين يحمل تأثيراً فنياً فرعونياً.

أما نص الإلهة المجنحة والإله ذي التاج العالي فهما يمثلان بكل تأكيد الإلهة (عناة) والإله (الأرضي بعل) وهما الإلهان اللذان تروي نصوص أوغاريت الملحمة العائدة إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر أعمالهما وهنا نلاحظ أن الإله يحمل تاجاً يرمز إلى الخصب.

ثم يضيف المنقب (كلود شيفر) أن الإله الذي يمثله النصب الثالث هو الإله "سيت" (Seth) الذي تعبّد له سيتي الأول، والد رعميس الثاني ويقابل الإله (سيت) الإله الأوغاريتي (موت) الذي دخل مصر خلال حكم (الهيكسوس) مع الإشارة إلى أن الإله (سيت) المصري تم تمثيله وفق الطراز الكنعاني.

### 3-7 (ز) تتبع آثار تواجد (حملة الأطواق):

يعرض (كلود شيفر) بصدد انتشار آثار (حملة الأطواق) أنه حين نهب فلاحون مدافن الحمام في منطقة "كركميش" (Karkemish) عثروا فيها على أطواق ودبابيس جمعها المنقب "ليونارد وولي" (Leonard Wooley) ونشر مقالاً عنها.

وفي وادي العاصي، فإن دبابيس من الطراز نفسه عثر عليها من قبل السيد "دو مينيل" (Dumesnil) في موقع (مشيرفه) في القبر رقم III من مدافن "تل آس" (Tell As).

أما السيد "فورير" (Forrer) فقد رافقه الحظ حين عثر في موقع قلعة (الروس) على شاطئ البحر السوري وعلى بعد 25 كم إلى الجنوب من (أوغاريت) على مجموعة كاملة ومماثلة لما عثر عليه في (جوبلا) وفي (أوغاريت).

ثم إلى الجنوب من لبنان وفي فلسطين، يضيف (شيفر) بأنه وجد هناك أيضاً أثر (حملة الأطواق) بشكل شبه واضح في مقابر مناطق صيدا و(غزة) و(ماجدو).

كما أن هناك أثراً واضحاً على تواجد (حملة الأطواق)، في (أريحا)، مصدره المدينة المنخفضة التي تعود إلى حقبة (2100-1900) ق.م حيث عثر على مستودع معادن ضمن وعاء، دفنه على الأرجح أحد حرفيي المعادن، ونجد فيه بلطات ذات تفريغين ودبابيس ذات رأس مدبب وهنا أيضاً، وقبل ولوج (حملة الأطواق المدينة) يمكن القول أن هذه الأخيرة كان قد أصابها خراب يعود إلى نهاية حقبة البرونز القديم (2300-2100) ق.م.

• يعتبر (كلود شيفر) أن (حملة الأطواق) لم يصلوا إلى قبرص لكنها استعملت دبابيس برونزية من طراز آخر أتاها من سورية أو من منطقة الأناضول.

• إن طوقاً عُثِر عليه منذ زمن بعيد في حي هرم "سيستوريس" (Sestoris) الثاني (1906-1888) ق.م في موقع "كاهون" (Kahun) برفقة أدوات لشغل البرونز ومرآة في حالة جيدة.

• في الشمال وفي الشمال الغربي من سورية فإن (حملة الأطواق) تواجدوا في آسيا الصغرى في موقع "أليشار II" (Alishar II) وهنا يمكن القول أن الأطواق المكتشفة كانت تعود إلى (1900-1800) وقد عثر عليها بجوار بحر "أرميا" (Urmia) في أرمينيا وذلك في منطقة منجمية وكذلك في "لوريستان" (Luristan) وهو مركز آخر للنشاط التعديني خلال الألفين الثالث والثاني.

• وعلى ما يظهر فإن (حملة الأطواق) كان مركز انتشارهم الأصلي يقع في البلاد ذات المناجم التي تحيط بالهلال الخصيب حوالي نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني.

وهم ساهموا بشكل أكيد على ازدهار صناعة التعدين وإنتاج البرونز وبخاصة في كل من (أوغاريت) و (جبيل).

• ومن فلسطين دخلوا وادي النيل خلال حكم (سيستوريس) الثاني.

### 7-3 (ج) حملة الأطواق في أوروبا ما قبل التاريخية وشبه التاريخية:

يبدأ (كلود شيفر) بالاعتراف بأن موضوع (حملة الأطواق) في أوروبا خلال تلك الفترات القديمة يطرح تساؤلاً له أهمية كبيرة وهو كيف توصل (حملة

الأطواق) الذين تجوّلوا في الهلال الخصيب، كيف توصلوا إلى أوروبا الشمالية في مناطق ما قبل تاريخية أو مناطق شبه تاريخية، أنهم وصلوا إلى "الألزاس" (Alsace).

• فهل تم ذلك خلال هجرة عجيبة اعتباراً من المتوسط باتجاه شمال وغرب أوروبا؟.

ووصف (شيفر) موضحاً بأن تاريخاً لبداية عصر البرونز في ألمانيا الشمالية وفي البلاد الإسكندينافية، فإن الباحث "مونتيليوس" (Montelius) أثبت أن معدن البرونز الأول الذي عرفته تلك البلاد كان شرقياً. ولتفسير ذلك توصل إلى افتراض مسارين لتحقيق ذلك:

• المسار الأول هو أنه بعد اجتياز كامل المتوسط من الشرق إلى الغرب وتموين أوروبا الغربية بشكل خاص بمعدن البرونز وشواطئ المحيط الأطلسي لإسبانيا وفرنسا وصولاً إلى بريطانيا وشواطئ بحر الشمال.

• المسار الثاني يسميه (مونتيليوس) المسار الشرقي وهو الذي يتبع الآدرياتيك وقد يجتاز البلقان حتى الدانوب ثم يتبع وديان الأنهر الكبيرة "الران" (Rhin) و"ايلب" (Elbe) و"أودير" (Oder) و"فيستول" (Vistule) حتى بحر البلطيك و(إسكندينافيا) وبحر الشمال.

### 3-7 (ط) تعديد مكتشفات (حملة الأطواق) في أوروبا:

يقدم كلود شيفر بعد ذلك لوحات تشير إلى المكتشفات التي تشير إلى جملة الأطواق، في المناطق الأوروبية التي نلخصها هنا في الجدول التالي:

| المنطقة | وما عثر عليه فيها |
|---|---|
| • النمسا | أطواق |
| • هنغاريا | طوق، رماح، دبابيس |
| • بوهيميا | طوق، خنجر دبابيس (4 أنواع) ملف |
| • ويرتينبيرغ | طوق، خناجر (5 أنواع) دبابيس وملف |

| المنطقـــــــــــــة | ومـــــا عثـــــر عليـــــه فيهـــــا |
|---|---|
| • بال السويسرية | دبابيس، سلك ذي تشكيل خاص |
| •ألمانيا الجنوبية | طـوق و 9 أنـواع دبـابيس وخنجـران لهمـا شكل مثلث |
| • سويسرا | طوق و6 أنواع دبابيس وخنجر |
| • الزاس | طوق وحلقة و 7 أنواع دبابيس وملف |
| • الـــزاس هـــاثمونو وإيجيشين | طوقان 5 دبابيس وخنجران وملف |
| • جبيل وأوغاريت | طوقان 5 دبابيس وخنجران وملف |

**3-7 (ي) خلاصة:**

يقدم (كلود شيفر) في نهاية بحثه الخلاصة التالية:

• إن مساهمة سورية القديمة في نشر معدن البرونز وفن تعدينه بصورة عامة خلال نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني.

• إن لم يكن أصل (حملة الأطواق)، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، من السكان الأصليين في (أوغاريت) و (جبيل)، فإنهم استقروا في تلك المنطقة وتفاعلوا مع سكانها وانصهروا فيها.

• نحن نعلم أن عبقرية التجارة التي يتمتع بها الأموريون والكنعانيون وهم الفينيقيون القدماء (البروتوفينيقيون)، تلك العبقرية دعمتها تجربتهم في الإبحار والنقل البحري.

• إنهم إذن، يضيف (شيفر)، أجداد الفينيقيين في بداية الألف الثاني ق.م وهم البحارة الأشداء والمتعهدون الوسطاء المعروفون حتى أن مجمعاً كان يشمل إلهاً حرفياً خبيراً في معالجة المعادن، وهو (كاثرو حسيس) ومعناه (الحاذق والفطن)[1].

---

[1]- الإله الأوغاريتي (كاثرو حسيس) هو مبدع سلاح الإله بعل في صراعه مع (يم) وهو مبدع أثاث وحلى الآلهة وكذلك القوس السحرية التي أهداها إلى البطل (أقهت) وهو مهندس بيت الإله بعل (المؤلف).

### 3-7 (ك) رأي المؤلف:

نستغرب بعد هذه الدراسة التي نشرها (كلود شيفر) منذ عام 1949 والتي تضمّنها كتابة "أوغاريتيكا II" (Ugaritica)[1] وحتى اليوم لم نعثر على أية دراسة تؤيد أو تنقض هذا الرأي الذي قدم تفاصيله (كلود شيفر) حول مساهمة فينيقي الماضي التي لها أهمية حضارية لا يمكن إنكارها، إلا إذا ما تعمد ذلك الباحثون الغربيون الذين اعتادوا إنكار الحقائق التاريخية لأسباب تعصبية كما فعلوا خلال الفترة الفينيقية في إنكار دورهم بالنسبة لنقل الحضارة إلى بلاد اليونان كما أنكروا دور مصر وهذا ما فصله كتاب (الفينيقيون والألعاب الأولمبية) الذي أشرنا إليه آنفاً (انظر الفقرة 7-3).

ولابد أن نتساءل فيما إذا كانت رقابة علماء الغرب مؤرخي الحضارة الهيلينية هم الذين طمسوا رأي (كلود شيفر) على اعتبار أن البحارة (الأموريين) الذين نقلوا فن التعدين وصناعة البرونز إلى(أوروبا) لم يكونوا (آريين) ووحدهم الآريون هم مبتدعو وناقلو الحضارة، وقد أسهب الكتاب أعلاه في إثبات ذلك الرأي الذي اصطدم به (كلود شيفر) في عرضه الموضوعي الذي أريد له أن يُنسى!

### 3-7 (ل) ابتداع صناعة حلي رخيصة الثمن وإطلاق تجارتها:

ابتدع "الميتانيون" (Mitaniens)[1] منذ القرن الخامس عشر ق.م واعتباراً من الشمال السوري صناعة حلى رخيصة الثمن باستعمال خرز زجاجي وأصداف وأحجار شبه كريمة عرفت انتشاراً سريعاً في كافة أنحاء المتوسط وفي البلاد الشمالية المحيطة به. وقد أصبحت تلك الحلى التزينية شعبية الاستعمال وفي متناول الجميع إذ حلت محل حلى الذهب والفضة والأحجار الكريمة كالعقيق واليَنع والزمرد... والتي بقي استعمالها محصوراً بالأغنياء وحدهم.

وبصورة عامة يمكن القول أن الكنعاني أو فينيقي المستقبل لم يتأخرا في مجال نشاطهما عن المتاجرة بكل ما يمكن بيعه، وذلك ما أراد انتقاده والتهكم

---

[1]- أوغاريتيكا II (Ugaritica): هي مجموعة الكتب (V-I) التي نشرها شيفر عن أوغاريت.

[1]- مينتانيون (Mitaniens): الميتانيون سكنوا الشمال السوري على حدود الأناضول وكانت لهم علاقات ذات أهمية مع (أوغاريت) كما تصاهر آنذاك فراعنة مصر بالزواج من بنات ملوكهم.

عليه الشاعر الإغريقي (هوميروس) صاحب الألياذة والأوديسة، حين أراد التقليل من أهمية المواد والسلع التي كان يبيعها التاجر الفينيقي والتي كانت:

*"تمتلئ بها سفن الفينيقيين".*

مطلقاً عليها صفة:

*"البضائع الزهيدة الثمن والعديمة الجودة".*

ونحن نعلم بالإضافة إلى ذلك، أن (هوميروس) لم يتأخّر في أوديسّتِه عن اتهام الفينيقي بالاحتيال والقرصنة واختطاف النساء لبيعهن في سوق الرق، مما أساء إلى جملة الفينيقيين منذ ذلك التاريخ، وتبنت ذلك مع الأسف المدارس الغربية في برامجها التعليمية، ولا يزال حتى اليوم، من خضعوا لمثل هذا التعليم يلصقون بالفينيقيين تلك الصفات.

## 7-4- الملوك النبطيون و عبقرية التجارة

### 7-4 (أ) من هم النبطيون؟

هم عرب استقروا في الجنوب الشرقي من البحر الميت، وهم اليوم معروفون بما تركوه لنا من أثر يثير إعجاب كل سائح في العالم وهو البتراء حيث الصخور الليلكية اللون تتحدث عنهم وعن عملهم الذي لم يُبن بل قُدّ في الصخر، إنه عمل فني جبار استحق اليوم وأثناء كتابة هذه الأسطر أن يصنف مع مواقع أخرى في العالم (الهند، والمكسيك، ....) من بين عجائب دنيا اليوم أسوة بعجائب الدنيا السبعة التي عرفها عالمنا القديم.

تساءل الباحثون إذا ما كان هؤلاء النبطيون الذين استقروا في الجنوب الغربي من الأردن الحالي، هم أنفسهم من سكنوا في الـ "نا - با - آ - تي" (Na-Ba-A-Ti) أي بلاد (النبطيين) الذين ورد ذكرهم في النصوص الآشورية العائدة للقرن السابع ق.م. وهم أنفسهم الذين ذكرتهم النقوش الآرامية تحت تسمية "نباطو" (Nabatu) وهم القبائل البدوية التي اختارت الاستقرار إلى الجنوب الشرقي في البحر الميت حيث كان بإمكانهم مراقبة القوافل الآتية من (الحجاز) أو من منطقة (تيماء) محمّلة بالبخور والصموغ، قاصدةً مرافئ المتوسط الشرقية وبخاصةً (غزة).

في عام 312 ق.م. يعلمنا "ديودور الصقلّي" (Diodore de Sicile) أن أحد جنرالات الإسكندر الكبير وهو "آنتيغون مونوفتالموس" ( Anyigone Monophtalmos) حاصر عاصمتهم البتراء ومنذ ذلك الوقت دخلوا التاريخ فعلاً على الرغم من أن تلك المرحلة من وجودهم كانت لا تزال غامضةً ومشتتة.

### 4-7 (ب) ملوك نبطيون نعرف أسماءهم:

إلا أنه بعد حوالي قرن ونصف بعد (ديودور الصقلي) أي حوالي 170 ق.م. فإن ملوكاً من النبطيين قادوا هذا الشعب ونعرف أسماء أربعة منهم حملوا اسم "الحارث" (Aretas) وهم مؤسسو مملكة قوية كانت لها أهمية في النزاعات التي عرفتها المناطق المجاورة، فطلبت مساعدتهم مراراً على هذا الأساس.

ولا بد من الإشارة إلى أن الملك (الحارث الثالث) تمكن من توسيع مملكة النبطيين حتى أنه وصل حتى دمشق حوالي 75 ق.م، ولكن الرومان آنذاك أجبروه على الالتجاء إلى البتراء والخضوع لروما خلال حكم الإمبراطور "تراجان" (Trajan) وبقيت بلاد الأنباط المموّن الخاص لروما، وأصبحت البلاد الخاضعة سوقاً ضخماً يقدم البخور والصموغ التي كانوا يحملونها من جنوب شبه الجزيرة العربية وهذا ما زاد في ثراء الأنباط بشكل كبير جعلهم ينحتون في الصخر الليلكي قصورهم ومدافنهم ومعابدهم ومستودعاتهم ومساكنهم، دون إغفال الصهاريج الضرورية لجمع مياه الأمطار وموازنة جفاف المنطقة.

بلغت المملكة أوج ازدهارها خلال حكم الحارث الرابع المعاصر لكل من الإمبراطورين الرومانيين "أوغوست" (Auguste) و"تيبير" (Tibere).

خلال تلك الفترة لم يكن توسع المملكة ممكن باتجاه الشمال، لذلك فإن توسع الأنباط اتجه نحو الجنوب باتجاه الحجاز و يثرب و المدينة المنورة فيما بعد، وهي تشكل إحدى مراحل مسار القوافل المحملة بالبخور، وتأميناً لذلك المسار أسس عليه الأنباط مراكز مراقبة وبشكل خاص في مدينة لا تزال حتى اليوم تشهد على وجودهم ذاك، في المدافن الفخمة الصخرية، وتلك المدينة هي "هيجرا" (Hegra) وهي (مدائن صالح) اليوم والتي حوت أهم مستودعاتهم بين (البتراء) و (يثرب).

وبالإضافة إلى ذلك فإن الأنباط ابتدعوا الإشارات الطرقية المسهلة لارتياد طرق المواصلات وأمانها في صحراء النقب بغية الوصول إلى (غزة) مرفأ المتوسط حيث كانت المواد المحمولة، تصدّر إلى شواطئ (إيطاليا) ومنها إلى (روما).

### 4-7 (ج) منجزات نبطية أخرى:

من أهم ما حققه الأنباط في النقب، أنه تمكنوا من إحياء المناطق المحيطة بالمسار الموصوف أعلاه بالاعتماد على سدود أقاموها في الوديان والمسيلات هنا وهناك مما سمح بالري وتأمين حياة بدائية ساعدت على تسهيل حياة المكلفين بمراقبة مسار القوافل.

ولا ندري إذا ما كانوا يعتمدون على فرق وهجانة جوّالة لتحقيق أمان النقل كما كان الأمر في مملكة تدمر إبان حكم الملكة (زنوبيا).

لدى متابعة توسع النفوذ النبطي نحو الشمال، نلاحظ أنه بعد تحويل يثرب إلى أحد أهم مستودعاتهم التجارية فإن ابن "الحارث الرابع" (Aretas IV) وهو (مليكوس الثاني) 40-70 ق.م. حقق هو أيضاً ازدهار المملكة النبطية حيث أسس مراكز تجارية إلى الشمال الشرقي من الجزيرة العربية في "دومات" (Dumat)حالياً (الجوف).

أما ابنه "رابِّل" (Rab - Bel) الثاني الذي كان قاصراً عندما خلف والده، أدى ذلك إلى فقدان نفوذه في مملكة (هيجرا) أي (مدائن صالح) على اعتبار أن العائلات النبطية في تلك المدينة أعلنت استقلالها ولذلك انتقلت عاصمة الأنباط الثانية من (مدائن صالح) إلى (بصرى) في الجنوب السوري.

### 4-7 (د)تدخل روما الأناني:

وبالعودة إلى (روما) فإن الإمبراطورية، خطر لها في ذلك الوقت أن تتساءل لماذا تترك مملكة تابعة لها، تحقق ثراءً على حسابها؟

وهذا ما شغل الإمبراطور الروماني (تراجان) الذي قرر آنذاك ضم البتراء ومنطقة الأنباط إلى الإمبراطورية، وقد حدث ذلك في عام 106م.

حافظت البتراء بعد ذلك على ازدهار نسبي، يدل على ذلك اعتبارها مركز بطريركية في فترة انتشار المسيحية في القرن الرابع الميلادي. فقدت بعد ذلك

أهميتها التجارية حين تحولت طرق القوافل إلى (بصرى) في الجنوب السوري وما عادت تمر في البتراء.

في نهاية القرن السادس الميلادي حين كان محمد القرشي قبل نبوته، يرافق القوافل التجارية لحساب زوجته المستقبلية (خديجة بنت خويلد) كانت القوافل تسلك طريق (مكة - بصرى) وقد يمكن القول بأن النبي الكريم لم يكن يعرف البتراء. أصبح بعد ذلك بعد الفتح العربي وانتشار الإسلام، أصبح طريق الحاج إلى مكة يمر ببصرى.

### 4-7 (هـ) النقوش النبطية:

ترك الأنباط حوالي 4000 نقش مكتوب في شمال الحجاز وفي منطقة (مدائن صالح) و (العلا)، مستعملةً اللغة الآرامية على اعتبار أن الأنباط لدى استقرارهم في البتراء استعملوا الآرامية التي كانت لغة الهلال الخصيب آنذاك وكذلك لغة فارس.

كما استعملها جيرانهم المباشرين أحفاد مملكة (إيدوم) التي عاداها أصحاب المرويات التوراتية، وهي أيضاً التي تحدّر منها "هيرود" (Herode) الإيدومي الحاكم المعين من قبل الرومان في القدس آنذاك وهو الذي رمّم ووسّع معبد القدس وعنه ورثنا باحة المسجد الأقصى الحالي وعنه ورث اليهود اصطناعياً "حائط المبكى" الذي هو حائط (هيرود) وليس حائط معبد (أوروشليم) الذي لا علاقة له بأسطورة سليمان وبناء المعبد. و (هيرود) كان من أمٍّ إيدومية عربية لم يكن ملكاً يهودياً كما أراد البعض اعتباره، وله مواقف عديدة لخّصناها في كتاب "فلسطين التاريخ القديم الحقيقي"[1].

أما النقوش المقتضبة التي تركها الأنباط فهي عبارة عما كتبوه على شاهدات القبور مثال:

(تيمو بار معنو، ليرقد بسلام).

أي تيم بن معن، ليرقد بسلام.

وهناك نقوش نادرة تشيد بذكر متوفٍّ مثال:

---

[1]- صدر عن دار الساقي في بيروت عام 2006.

| | | |
|---|---|---|
| (د ك ي ر) | (د ي ن ي) | (ب ط ب) |
| dky | dny | btb |
| تذكر | دُنياي | بطيب |

أي

4-7 (و) *معلومات إضافية عن شخصيات الملوك الأنباط:*

ما نعرفه عن فترات حكم الملوك وعن شخصيات يمكن تلخيصه كما يلي:

- (أريتاس الأول) (170-160) ق.م. تقريباً المصدر هو المرويات التوراتية (؟)

- (أريتاس الثاني) حوالي (120-96) ق.م.، وبه يمكن اعتبار بدء الفترة التاريخية، وهو الذي قدم الحماية (لغزّة) لدى تهديدها من قبل الـ "إسمونيين" (Esmoneen) ورئيسهم "الكسندر جامي" (Alexandre Janed) وأنقذها من حصار هذا الأخير. وكما أسلفنا فإن غزة كانت تشكل نهاية مسار القوافل لتفريغ حمولتها قبل تصديرها إلى إيطاليا ثم روما.

- (أريتاس الثالث) (85-62) ق.م. تقريباً هو الذي كما أسلفنا توسع حتى دمشق لدى وفاة (أنطيوخوس) الثاني عشر الملك السلوقي ولكنه من جهة أخرى فقد مؤاب و جلعاد إلى الشمال من مملكته. أما تخلّيه عن دمشق فقد اضطره إلى ذلك الملك الأرمني (ديكران) وتدخل الرومان آنذاك وحاصروا البتراء ولم يتخلوا عن ذلك إلا بعد دفع جزية من قبل البتراء وعقد اتفاق يعتبرها ممونة لروما بالبخور والصموغ والراتنجيات المعطرة.

- (أريتاس الرابع) (8-41)م هو الذي أقام في صحراء النقب المراكز المرحلية على مسار القوافل التجارية في كل من مواقع "مامبسيس" (Mampsis) و (عوبودا) و (نيسّانا) و (سوباتا) و (إيلوزا) وهي مراكز المراقبة بين البتراء ومرفأ غزة.

كما تمكن (أريتاس الرابع) في عام 36م من الانتصار على جيش (هيرود) وهو الذي نظم مملكة البتراء على الطريقة اليونانية وكان أباً لأربعة أبناء وأربع بنات من زوجتيه (خولدو) و (شقلية).